الذوق الناقد

الدكتور
وجيهة محمد المكاوي
مدرس الأدب والنقد بكلية الدراسات الإسلامية
والعربية للبنات بالمنصورة

المقدمـــــــة

الأدب ذلك الفن الجميل الذي خرج من نفس متأثره موجهاً إلى نفس ينشد منها التأثر ارتبط بالنقد فهو الذي يحكم على هذا العمل بأنه أدب رفيع وعلى ذلك بأنه عمل أدبي وضيع .

والمتحكم فى العملية النقدية هو الذوق ... تلك الحاسة المعنويـــة التـــى بتغيبها يصير قول الناقد غثاً لا فائدة منه .. وبتواجدها يـــولى كلامـــه عظـــيم الاعتبار والاهتمام .

والذوق شغل فكر القدامى والمحدثين تعريفاً وتبياناً لأجزائه المختلفة فهو وإن كان حاسة معنوية لكن يدخل فى مكوناتها ويسبب تواجدها كثير من الأشياء الحسية سواء أكانت أشياء لا دخل للإنسان بها مثل جنسه نوعه بيئتـــه طبقتـــه الاجتماعية التى ينتمي إليها أو كانت أشياء له يد فيهـــا كأخـــذ نفســـه بـــالقراءة والإطلاع على الثقافات المختلفة معداً نفسه ليكون ناقداً ممتلكـــاً لأدوات العمليـــة النقدية .

والذوق أنواع متعددة والنقاد متنوعون نتيجة لاختلاف أذواقهم الذي يتبع اختلاف انتماءاتهم الفكرية والبيئية وغيرها من أوجه الاختلاف ... وإذا كانـــت الآراء تختلف لاختلاف الأذواق الصادرة عنها لكن ذلك لا ينفى أن هناك قواسم مشتركة يتفق عليها ذوى الذوق الرفيع .

وقد قسم طه حسين الذوق إلى خاص وعام فالعام هو الذي يجمع قطـــاع معين من الناس يخضعون إلى ظروف بيئية واجتماعية ونفسية واحدة فيميلـــون إلى أثر فني ما ويميلون عن آخر .... وهذا لا يمحى التفاوت الفردى بين الأفراد ونصيب كل واحد من ذلك الذوق وأسبابه فقد يضعف عند طائفة ويقـــوى عنـــد أخرى ... ومن ثم يتواجد الذوق الخاص وهو الذي يسم صاحبه بمبســـم النقـــاد الذواقة وهو الذي يمتلك بالإضافة إلى الذوق العام خواصاً أخرى تميزه فهو قادر على الإعجاب بشعر عصر ما ... وشاعر خاصة .... فى هذا العصر وقصيدة

لهذا الشاعر ... وبيت مميز من تلك القصيدة .... فهو وإن كان معجباً بشعر شعراء العصر العباسى لكنه معجب أكثر بشعر المتنبي ... وهكذا .

فالذوق له أثر كبير فى العمل النقدى الأدبي فبه يحدد العمل الأدبي ويوضح أهميته .... وبعد فقد توصلت إلى نتائج من هذه الإطلاله على الذوق منها .

أن الذوق وإن اختلفت مفاهيمه عند القدامى والمحدثين لكنه اختلافاً بسيطاً قد يكون اختلافاً فى التعبير وأن الذوق منذ القدم له أهمية عظمى فى المجال النقدى وتصدى كبار النقاد لتعريفه وبيان المؤثر فيه وأهمية تأثيره على الناقد والمتلقى .

إن الذوق وإن كان منه الخاص والعام السلبى والإيجابى لكن الذوق الذي يلقى إليه النقاد والأدباء جل اهتمامهم هو الذوق المدرب الواعى الذي ينم عن موهبة صاحبة وقدرته على إصدار الحكم وتعليله وبذلك يكون الناقد ذو موهبة اكتسب الخبرة من خلال الثقافات المختلفة التى طالعها ويوضع حكمه ورأيه فى مصاف الأعمال النقدية الهامة الجديرة بالمطالعة والفهم ... الذوق حصيلة عوامل مختلفة بيئية ... جنسية ... زمانية ....مكانية ... وخصائص شخصية ... كل تلك العوامل تظهر فى ثنايا العملية النقدية ويلمسها من يطالعها ويتلمسها من لا يجدها صدرت عن الناقد ويحاول البحث عنها .

تعريف الذوق

اختلف النقاد قدامى ... ومحدثين فى تعريف الذوق ... شاعت كلمة الذوق Taste ودارت على ألسن النقاد ولاسيما التأثرين منهم فهم يعدونه المحكم الأول فى العملية النقدية .

وقد تنوع مدلول كلمة الذوق لغوياً (فى المحيط : ذاقه ذوقاً وذوقانا ومذاقا ومذاقه اختبر طعمه ، وتذوقه ذاقه مرة بعد مرة . وفى المنجد : الذوق

ملكة تدرك بها الطعوم والذوق الطبع يقال هو حسن الذوق للشعر أي مطبوع عليه) [١] .

قال الجلبي في حاشية المطول في شرح خطبة التلخيص : (الذوق هو إدراكية لها اختصاص بإدراك لطائف الكلام ومحاسنه الخفية)[٢]

والذوق أحد مقاييس النقد الأدبي عند العرب ، وهو عند الآمدى (٣٧١ هـ) ثلاثة أقسام :

الطبع : وهو القوة التى فطر عليها الناقد .

والحذق : وهو القوة التى يكتسبها الناقد بالمران والدربة .

والفطنة : وهي امتزاج الطبع بالحذق ، وصاحب الفطنة أقدر على الحكم من صاحب الطبع أو صاحب الحذق وحده .

وقد أشار ابن خلدون إلى أنه ملكة راسخة فى طبيعة الإنسان وإذا نظرنا إلى تعريفه حديثاً نجد أنه بدأ فى الذيوع فى القرن السابع عشر مع ظهور النزعة الكلاسيكية المحدثة ، ورد فى معجم المصطلحات الأدبية " أن الذوق هو القدرة على التعامل مع القيم الجمالية فى الأشياء وخاصة فى الأعمال الفنية " .

أو هو " نظام الإيثار لمجموعة محددة من القيمة الجمالية نتيجة لتفاعل الإنسان معها " .

ومن ثم يصبح الذوق العام : مجموع تجارب الإنسان التى يفسر على ضوئها ما يحسه أو يدركه من الأشياء ويسمي الإدراك السليم [٣] .

الذوق : هو استعداد خاص يهيئ صاحبه لتقدير الجمال والاستمتاع به ومحاكاته

---

(١) أصول النقد الأدبي أحمد الشايب صـ ١١٩ طـ ١٠ - ١٩٩٩

(٢) كشاف اصطلاح الفنون للتهانوى : ٢/ ٢٣١ نقلاً عن فى النص وقراء النص د / محمد أحمد العزب .

(٣) انظر : معجم المصطلحات الأدبية - نقلاً عن فى النص وقراءة النص .

بقدر ما يستطيع فى أعماله وأقواله وأفكاره [١]

وقال عنه أحمد حسن الزيات " إنه حاسة معنوية يصدر عنها انبساط النفس وانقباضها لدي النظر فى أثر من آثار العاطفة والفكر ويظهر أثرها فى ميل الناشىء الموهوب إلى كل جميل من الأدب والفن ومحاولة تقليده [٢]

قال ابن خلدون الذوق هو : حصول ملكة البلاغة للسان والمعروف أن البلاغة نظم مكون من أجزاء لابد من توافرها ...

طبقاً لشروط كل قسم من أقسام البلاغة والملكة تحصل بطول ممارسة ومداومة ومع مرور الوقت تصير طبعاً أصيلاً من خواص التكوين .

والذوق فى معناه اللفظي مرتبط بالإحساس فهو يعني اختبار أو الاحتكاك بالشيء من خلال الفهم لمعرفة الطعم ... وهذا التعارف – مقدمة – يتبعه تكوين رأى هل هذا المتذوق حلو – حامض – مر – مالح هذا الرأى يعد – حكماً – ثم بعد ذلك يأتي عمل الإنسان المتفق مع ميوله إذا كان يحب هذه الطعوم فهو يميل له ويستزيد منه ... تلك العملية الحسية تتشابه مع العملية الذهنية فى النظر للعمل الأدبي استبطانه ثم الحكم عليه وبيان سبب هذا الحكم يقول أحمد الشايب [٣] (وانتقلت الكلمة بعد ذلك إلى علاج الأشياء بالنفس لتعرف خواصها الجميلة أو الذميمة كحسن الألوان وتناسبها وجمال الألفاظ وبلاغتها وروعة الأنغام واتساقها وعكس ذلك . وبهذا دخلت دائرة الفنون الجميلة لتدل على هذه الملكة المكتسبة أو الموهوبة التى تدرك ما فى الآثار الفنية من كمال وجمال أو نقص ودمامة وكانت فى الأدب لتدرك حسن التعبير اللغوي أو قصوره فتمهد بذلك للحكم السديد والتفسير الواضح الصحيح) .

---

(١) دراسات فى علم النفس الأدبي حامد عبد القادر صـ ١٤٥ الطبعة النموذجية .

(٢) دفاع عن البلاغة أحمد حسن الزيات صـ ٥٥ طـ ٢ – ١٩٦٧ .

(٣) أصول النقد الأدبي صـ ١٢٠ .

والدلالة الحسية للفظة الذوق لا تختلف كثيراً عن الدلالة المعنوية التـــى تستخدم فيها اللفظة فالحكم على المنتج الأدبـــي – هـــدف النقـــد – يســـبقه أولاً مرحلتان هو إعمال الفكر والعاطفة فى هذا العمل للوقوف على أجزائه ومكوناته وحظها من الجودة أو الرداءة وابن خلدون حمَّل كلمة الذوق معنيين أحدهما .... إنشائياً والثاني تأملياً حينما قال إن دلالة الكلمة تقوم على ركيزتين أولاهما القدرة على تأليف الأدب ثانيهما القدرة على نقده... وإذا امتلك الناقد القدرة على النقد تكونت لدية الملكة .

يقول ابن خلدون " هذه الملكة إنما تحصل بممارسة كلام العرب وتكرره على السمع والتفطن لخواص تركيبه وليست تحصل بمعرفة القوانين العلمية فى ذلك التى استنبطها أهل صناعة اللسان فإن هذه القوانين إنما تفيد علمـــاً بـــذلك اللسان ولا تفيد حصول الملكة بالفعل فى محلها [١] .

فابن خلدون يقر أن الذوق ملكة خاصة لدي الإنسان تظهر فى أثناء نطقه فتبين عن عمق ثقافته وسعة اطلاعه ويرى ابن خلدون أن أخذ الإنسان بمدارسة أقسام البلاغة أو علوم اللسان لا توجد عنده الملكة وإنما تجعله عالماً بتلك القواعد أما إيجاد الملكة الذوقية فإنما يحدث بطول مدارسة كلام العرب وانتهاج نهجهـــم قولاً أو امتناعاً .

ويقول د/ أحمد بدوى إن ابن خلدون (أغفل أمر الاستعداد لأن الاســـتعداد مـــن غير ثقافة لغوية أو أدبية لا يثمر

شيئاً مثله مثل بذرة لم يتهيأ لها البيئة الصالحة لإثمارها فلا يظهر لها ساق ولا فروع ولا ثمرة) [٢] .

---

(١) مقدمة ابن خلدون ٥١٥ .

(٢) أسس النقد الأدبي عند العرب صـــ ٨٣ د / أحمد بدوى مكتبة النهضة ١٩٥٨ .

وبذلك نجد أن الذوق قام على دعامتين الاستعداد الفطرى لدي الإنسان ... والملكة التى تتواجد من خلال أخذ النفس بالاطلاع على الثقافات المختلفة والمعارف المتعددة وأري أن هذا الرأى صائب لأنهما ركيزتان لا تغني إحداهما عن الأخرى .

يقول ابن خلدون [١]

" إن الملكات إذا استقرت ورسخت فى محالها ظهرت كأنها طبيعية وجبلة لذلك المحل ، لذلك يظن كثير من المغفلين ممن لم يعرف شأن الملكات أن الصواب للعرب فى لغتهم إعرابا وبلاغة أمر طبيعي ، ويقول : كانت العرب تنطق بالطبع وليس كذلك وإنما هى ملكة لسانية فى نظم الكلام تمكنت ورسخت فظهرت فى بادئ الأمر أنها جبلة وطبع [٢] " فالذوق والأدب إذاً صنوان وبذلك يكون الذوق الأدبي " هو القوى التى يقدر بها الأدب " وهذه القوى أو القدرة ركيزة أساسية من ركائز النقد ومعني قدر الأدب " بيان قيمة نصوصه ودرجتها " فكأن الذوق هو وسيلة النقد الأدبي وأداته وهذا صحيح إذا كنا نفهم الذوق على أنه خلاصة العوامل الفطرية والمكتسبة التى يقوم عليها الأدب – على حد قول أحد الشايب – [٣] .

(أما عبد القاهر الجرجاني ، فقد نظر إلى الذوق من ناحية أنه استعداد خاص يهيئ صاحبه لتقدير الجمال وفهم أسرار الحسن فى الكلام ، ويجعل هذا الاستعداد الخاص شرطاً أساسياً لتذوق الجمال فى الأدب [٤] وكأنه يري الثقافة الأدبية من غير هذا الاستعداد لا تجدى شيئاً ولا تهئ صاحبها لشيء ، ويكون

---

[١] أسس النقد الأدبي عند العرب صـ ٨٥ .

[٢] مقدمه ابن خلدون صـ ٥١٦ .

[٣] أصول النقد الأدبي صـ ١٢٠ .

[٤] أسس النقد الأدبي صـ ٨٧ – راجع صـ ٧٥ .

مثل صاحبها مثل من يروى أرضا لا بذر فيها . وعبد القاهر يرى هذا الاستعداد فطريا ، وأنه قليل فى الناس .

ومن أجل هذا كانت الزاوية التى نظر منها ابن خلدون إلى الذوق غير هذه التى نظر منها عبد القاهر وإن كان عبد القاهر لم يغفل الثقافة بل لا يكون الناقد ناقداً حتى يكون من أهل الذوق والمعرفة) [١].

" وعرف صاحب الوساطة الذوق بأنه الذوق المذهب الذي ثقله الأدب وشحذته الرواية وجلته الفطنة وألهم الفصل بين الردئ والجيد وتصور أمثله الحسن والقبيح " .

(عرف العرب إذا للذوق معنيين : أحدهما الملكة الراسخة فى النفس ، الناشئة من ممارسة كلام العرب . وثانيهما هذا الاستعداد الفطرى الذي يهيئ صاحبه لإدراك ما فى الكلام من جمال ، وما لهذا الجمال من أسرار) [٢].

وإذا كان النقاد قدامى ومحدثين اختلفوا فى تعريف الذوق فإن تعريفاتهم متقاربة لا تباين فيها بل أرى أن فيها تكاملاً إذا ضمت بعضها إلى بعض ونقحت العبارات ظفرنا بتعريف جامع مانع كأن يقال " الذوق الأدبي هو التعبير عن المنتج الأدبي بعبارة راقية تنم عن ثقافة الناقد المتذوق وإحاطته بموضوع نقده وتعين المتلقى على فهم العمل بما يكشف لبنات الكمال ويوضح مواطن النقص

الذوق المعلل : لم يكتف القدامى بحد الذوق والوقوف عليه وإنما لجأوا إلى تصنيفه وتوضيح هذه الأقسام وقالوا

إنه من الأفضل للناقد أن يبين سبب استحسانه للمنقود ويوضح علته ومسبباته ولا يكتفي بالقول إن هذا حسن وقد ركزوا على ضرورة تعليق سبب الاستحسان باعتبار أن الاستهجان قد يكون واضح السبب يستطيع الإنسان إدراكه

---

(١) دلائل الإعجاز صـ ٢٢٥ .

(٢) أسس النقد الأدبي صـ ٨٨ .

بسهولة بعكس الاستحسان الذي لا يجب أن يقف فيه الإنسان عند قول هذا حسن دون تعليل وذلك نوع من الكسل ابتلي به الناقد .

أقسام الذوق : والذوق متنوع وذو أقسام متعددة ما بين سليم وفاسد سلبي وإيجابي ... فالسليم هو المعول

عليه وهو القادر على التمييز بين الآداب فيمج القبيح – ويطرى على الحسن منها أما الفاسد فقد يميل إلى القبيح وينصرف عن الحسن أو لا يستطيع أن يبدي فرقاً أو يأخذ جانب الحسن ويعزف عن القبيح وهذا هو الذوق العاجز المستكره . والذوق السلبي هو الخاص بصاحبه ... والحق إن كلمة سلبي هذه التى وردت فى أصول النقد الأدبي [1] لا أستحسنها وإذا استبدلناها بالذوق الخاص أو الذاتي لكان أوقع لأن صاحب هذا الذوق شغل بنفسه فهو يطلع على العمل الأدبي فيستحسنه وتحصل له الأريحية ويجد فى نفسه استرواح به ويلجأ إليه فى مناسبات مختلفة .. دون تعليل سر ذلك أو الكشف عن هذا الارتياح للعمل فهو شيء ذاتي خاص به فقط . لذا كانت كلمة خاص أفضل من سلبي فالسلبي هو الذي تتساوى لديه الأمور جيدها برديئها ضيقها بواسعها ... أما هذا الشخص فهو يقول إن ذلك يعمل حسن ويحبه ويلجأ إليه لكنه لا يعلل سر ذلك الإعجاب .

أما الذوق الإيجابي فهو مسمي لما يصدر عن الناقد الواعي الذي يستطيع أن ينقد العمل ويبين سبب هذا النقد لما استحسنه أو استقبحه وهل هذا الاستحسان والاستقباح ينسحب على العمل كله أم أحد أجزائه وما هو هذا الجزء ويشرح ويوضح كل ما يتعلق به (على أن من أسباب الجمال ما لم يمكن وصفه أو تعليله إنتاج عبقرية معقدة أثمرته فكان عجيباً ساحراً تسكن إليه القلوب وتحار في تعليله العقول هو ذلك النوع الذي يقرأه سواد الناس فيفهمونه ثم يقرأه الخاصه

---

(١) أصول النقد الأدبي أحمد الشايب صـ ١٢٣ .

فيفتنون به ويحارون فى تعليل حسنه ثم لا يحسن واصفهم إلا أن يقول هذا هو السحر الحلال وقد يكون من أسباب سحره سمو الخيال أو بساطة الأداء أو طبع الأديب ونفسيته العجيبة أو كل ذلك وسواه) [١]

يقول عبد القاهر [٢] ت٤٧١ : " واعلم أنه لا يصادف القول فى هذا الباب [٣] موقعاً من السامع ، ولا يجد لديه قبولاً حتى يكون من أهل الذوق والمعرفة ، وحتى يكون ممن تحدثه نفسه بأن لما يومئ إليه من الحسن واللطف أصلا ، وحتى يختلف الحال عليه عند تأمل الكلام ، فيجد الأريحية تارة ، ويعرى منها أخرى ... فأما من كانت الحالان والوجهان عنده أبدا على سواء ... فما أقل ما يجدى الكلام معه فليكن من هذا صفته عندك بمنزلة من عدم الإحساس بوزن الشعر ، والذوق الذي يقيمه به ، والطبع الذي يميز صحيحه من مكسوره ... فى أنك لا تتصدى له ، وتتكلف تعريفه ، لعلمك أنه قد عدم الأداة التى معها يعرف ... وإن من الآفة أيضاً من زعم أنه لا سبيل إلى معرفة العلة فى قليل ما تعرف المزية فيه وكثيره ، وأن ليس إلا أن تعلم أن هذا التقديم ، وهذا التنكير أو هذا العطف ، أو هذا الفصل حسن ، وأن له موقعاً من النفس ، وحظا من القبول فأما أن تعلم : لم كان كذلك ؟ وما السبب ؟ فمما لا سبيل إليه ، ولا مطمع فى الإطلاع عليه ، فهو بتوانيه ، والكسل فيه ، فى حكم من قال ذلك) [٤] .

" وأعلم أنه إذا لم يمكن معرفة الكل وجب ترك النظر فى الكل ، وأن تعرف العلة والسبب فيما يمكنك معرفة ذلك فيه ، وإن قل ، فتجعله شاهداً فيما لم تعرف أحرى من أن تسد باب المعرفة على نفسك ، وتأخذها عن الفهم والتفهم ،

---

(١) الموازنة بين الشعراء – زكى مبارك صـ ٤٥ – عن أصول النقد الأدبي صـ ١٢٣

(٢) دلائل الأعجاز صـ ٢٢٥ .

(٣) أي باب إدراك أن البلاغة ناشئة من النظم .

(٤) أسس النقد الأدبي صـ ٨٨ .

وتعودها الكسل والهويني قال الجاحظ . وكلام كثير قد جرى عن ألسنة الناس ، وله مضرة شديدة ، وثمرة مرة ، فمن أضر ذلك قولهم : لم يدع الأول للآخر شيئاً ، فلو أن علماء كل عصر مذ جرت هذه الكلمة فى أسماعهم تركوا الاستنباط لما لا ينتهى إليهم عمن قبلهم لرأيت العلم مختلاً وأعلم أن العلم إنما هو معدن فكما أنه لا يمنعك أن ترى ألف وقر [١] قد أخرجت من معدن تبر أن تطلب فيه ، وأن تأخذ ما تجد ولو كقدر تومه [٢] كذلك ينبغي أن يكون رأيك فى طلب العلم [٣] .

وهذا يدل على نظرة عبد القاهر الموضوعية للنقد على حد قول د/ أحمد بدوى وذلك لأنه يعتقد أن لجمال الجميل ، ولحسن الحسن أصلا ، ويرى فيه صفات وعناصر يمكن أن يراها الناس ، ويهتدوا إليها ويتبع ذلك أن النقد عنده نقد موضوعي ، لأنه يتجه إلى البحث عن الصفات والعناصر والأصول التى هيأت للجميل أن يكون جميلاً .

وقد ذهب المرزوقي ت صـــ ٤٢١ هـــ إلى هذا القول من قبله وهو أنه يجب النص على أسباب الاستحسان خاصة – أما الاستهجان فقد تدل على نفسها بنفسها (إذ يقول إن ما يختاره الناقد الحاذق قد يتفق فيه ما لو سئل عن سبب اختياره إياه ، وعن الدلالة عليه ، لم يمكنه فى الجواب إلا أن يقول : هكذا قضى به طبعى ، أو ارجع إلى غيرى ممن له الدربة والعلم بمثله فإنه يحكم بمثل حكمى وليس كذلك ما يسترذله النقد أو ينفيه الاختيار ، لأنه لا شيء من ذلك إلا ويمكن التنبيه على الخلل فيه ، وإقامة البرهان على ردائته) [٤]

---

[١] الوقر بالكسر : الحمل .

[٢] التومة : اللؤلؤة .

[٣] دلائل الإعجاز صـــ ٢٢٥ .

[٤] شرح ديوان الحماسه ١ : ١٥ – عن أسس النقد الأدبي صـــ ٩٠ .

وعبد القاهر الجرجانى ذو النظرة الموضوعية للنقد يري أن الناقد إذا امتلك أدوات النقد وتمكن منها - يستطيع أن يعرض علينا جزئيات حكمه وأسبابه وأن عليه أن يعمل العقل ليتوصل من خلال ما يعرف إلى ما لا يعرف ولا يكتفي بأن يعلل الحكم بأنه لا يعرف ويشير إلى قضية الإعجاز وكيف أنه يقوم على أسرار ودقائق يصعب الوصول إليها إلا من خلال عقل واع وفكر مستديم وأناة وصبر يقول : " وجدت المعول على أن ههنا نظما وترتيبا ، وتأليفا وتركيبا ، وصياغة وتصويرا ونسجا وتحبيراً . سبيل هذه المعاني فى الكلام الذي هي مجاز فيه سبيلها فى الأشياء التى هي حقيقة فيها ،أنه كما يفضل هاك النظم النظم ، والتأليف التأليف ، والنسج النسج ، والصياغة الصياغة . ثم يعظم الفضل ، وتكثر المزية ، حتى يفوق الشيء نظيره والمجالس له درجات كثيرة ، وحتى تتفاوت القيم التفاوت الشديد ، كذلك يفضل بعض الكلام بعضا ، ويتقدم منه الشيء الشيء ، ثم يزداد من فضله ذلك ، ويترقي منزله فوق منزلة ، ويعلو مرقبا بعد مرقب ، ويستأنف له غاية بعد غاية ، حتى ينتهى إلى حيث تنقطع الأطماع ،وتحسر الظنون وتسقط القوى ، وتستوي الأقدام فى العجز) [1] .

"وجملة الأمر أنك لن تعلم فى شيء من الصناعات علما تمر فيه ، وتحلي ، حتى تكون ممن يعرف الخطأ فيها من الصواب ، وتفصل بين الإساءة والإحسان بل تفاضل بين الإحسان والإحسان ، وتعرف طبقات المحسنين " .

" وإذا كان هذا هكذا علمت أنه لا يكفي فى علم الفصاحة أن تنصب لها قياسا ما ، وأن تصفها وصفا مجملا ، وتقول فيها قولا مرسلا ، بل لا تكون من معرفتها فى شيء حتى تفصل القول أو تحصل ، وتضع اليد على الخصائص التى تعرض فى نظم الكلام وتعدها واحدة واحدة ، وتسميها شيئا شيئا وتكون معرفتك معرفة الصنع الحاذق ، الذي يعلم علم كل خيط من الإبريسم الذي فى

---

(١) أسس النقد الأدبي عند العرب صـ ٩١ وما بعدها .

الديباج ، وكل قطعة من القطع المنجورة فى الباب المقطع [١] وكل أجره من الآجر الذي فى البناء البديع وإذا نظرت إلى الفصاحة هذا النظر وطلبتها هذا الطلب ، احتجت إلى صبر على التأمل ، ومواظبة على التدبر ، وإلى همة تأبي لك أن تقنع إلا بالتمام ، وأن تربع إلا بعد بلوغ الغاية [٢]

وقد تحدث عن هذه القضية ابن سلام الجمحى ت ٢٣١ تحدث ابن سلام عن قضية النقد وقد عول على الذوق وقال إن عليه العبء الأكبر فى القيام بالعملية النقدية وليس معني هذا أنه أهمل الثقافة بل أكد على ضرورة وجود الركيزتين لأنهما متكئ النقد فلا اعتداد برأى دون امتلاك صاحبه لهاتين الركيزتين فكما أن المستمع الخبير هو الذي يقدر على التمييز بين الصوت الجيد والصوت الردئ عند المعاينة فكذلك الناقد المتميز هو القادر على إبداء الرأى الصائب .

يقول ابن سلام :" يقال للرجل والمرأة فى القراءة والغناء : إنه لندى الصوت [٣] والحلق طل الصوت [٤] ، طويل النفس ، مصيب اللحن ، ويوصف الآخر بهذه الصفة ، وبينهما بون بعيد . يعرف ذلك العلماء عند المعاينة ، والاستماع له ، بلا صفة ينتهي إليها ولا علم يوقف عليه ، وإن كثرة المدارسة لتعدى [٥] على العلم به ، فكذلك الشعر يعرفه أهل العلم به [٦] وعلق صاحب العمدة على ذلك بقوله : " وسمعت بعض الحذاق يقول : ليس للجودة فى الشعر

---

(١) المقطع : المؤلف من قطع ، إذ فيه تظهر مهارة صنعة النجارة .

(٢) دلائل الإعجاز صـــ ٢٦ وما يليها .

[٣] ندى الصوت : بعيده ممدودة .

[٤] طل الصوت : حسنه ، عذبه ، ناعمة ، بهيج النغمة .

[٥] تعدى . تعين ، وتقوى .

[٦] طبقات فحول الشعراء صـــ ٧ .

صفة إنما هو شيء يقع فى النفس عند المميز ، كالفرند [١] فى السيف والملاحه . وهذا راجع إلى قول الجمحى بل هو بعينه [٢]

ويفسر د / أحمد بدوي [٣]قول ابن سلام أنه لم يقصد تنحية الثقافة جانباً أو التقليل من شأنها يقول وقد يبدو للمرء فى أول وهلة أن ابن سلام ناقد ذاتى يرى أن الحكم فى الشعر هو الذوق وحده ، من غير أن يكون ثمة فى الموضوع نفسه من الصفات ما يكون أصلاً لهذا الحكم . وأغلب الظن أن ذلك لم يجر بخاطر ابن سلام ، لأنه لم يترك الحكم على الشعر للأذواق المتباينة ، يحكم عليه كل ذوق بما يراه فتضطرب الأحكام ، وتنشأ الفوضى ، ولكنه يحكم الذوق المثقف ، إذ هو يرى الشعر صناعة وثقافة ، يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم والصناعات [٤] ، ويرى الجدير بالحكم على الشعر هو الخبير به ، و أهل العلم به، كالصيرفى الذي يحكم على الدنانير والدراهم [٥] ويرى أن السبيل لهذه الخبرة والمعرفة إنما تكون بكثرة المدارسة للشعر ، وطول الاختلاط به كما ورد ذلك فى النص الذي نقلناه عنه وهو إذا لا يترك الحكم للأذواق المختلفة بل يحكم الذوق المثقف بالثقافة الشعرية العميقة ، وهو عندما جعل الذوق المثقف حكما ، يشير إلى أن صاحب هذا الذوق المثقف إنما يحكم بالجودة أو الرداءة لسبب يحس به ذوقه ، لكثرة ممارسته للأدب وشدة مخالطته لرائع الكلام وكأنه يقيس ما يسمع بما اعتاد أن يحبه إذا سمعه ، فيستحسن ما يستحسن ويستهجن ما يستهجن ، وربما لم يبين علة لما يرى .

---

[١] فرند السيف : جوهره ووشيه .

[٢] العمدة ١ : ٧٧ .

[٣] أسس النقد الأدبي صـ ٩٢ ، ٩٣ .

[٤] طبقات فحول الشعراء صـ ٧ .

[٥] المرجع السابق صـ ٨ .

وإذا كان ابن سلام يقول : إن ذلك الحكم يصدر " بلا صفة ينتهي إليها ، ولا علم يوقف عليه " فربما كان ذلك ناشئاً من أن أسباب الحسن لم تكن حددت ونسقت في عصره [١] .

ابن طباطبا ت ٣٢٢ : كان بن طباطبا معاصراً لابن سلام وقد أدلي بدلوه في تلك القضية ... فهو يري أن اتجاه النفس لاستحسان عمل أدبي ما .... يجب أن يكون مسبباً بمعني إذا سلطنا العين الناقدة على ذلك العمل يجب أن تبين عن أسس كمال وجمال مضمونه في ذلك العمل ويميط النقد اللثام عنها يقول : (وعيار الشعر أن يورد على الفهم الثاقب ، فما قبله واصطفاه فهو واف ، وما مجه ونفاه فهو ناقص . والعلة في قبول الفهم الناقد للشعر الحسن الذي يرد عليه ، ونفيه للقبيح منه ، واهتزازه لما يقبله ، وتكرهه لما ينفيه – أن كل حاسة من حواس البدن إنما تتقبل ما يتصل بها مما طبعت له ، إذا كان وروده عليها ورودا لطيفا باعتدال لا جور فيه ، وبموافقة لا مضادة معه ، فالعين تألف المرأى الحسن ، وتقذى بالمرأى القبيح الكريه . والأنف يقبل الشم الطيب ، ويتأذى بالمنتن الخبيث . والفهم يأنس من الكلام بالعدل الصواب الحق ، والجائز المعروف المألوف ، ويتشوق إليه ، ويتجلى له . ويستوحش من الكلام الجائر والخطأ الباطل ، والمحال المجهول المنكر ، وينفر منه ويصدأ له فإذا كان الكلام الوارد على الفهم منظوما مصفى من كدر العي ، مقوما من أودا الخطأ واللحن ، سالما من جور التأليف ، موزونا بميزان الصواب لفظا ومعني وتركيبا ، اتسعت طرقه ، ولطفت موالجه ، فقبله الفهم ، وارتاح له ، وأنس به ، وإذا ورد عليه على ضد هذه الصفة ، وكان باطلا محالا مجهولا انسدت طرقه ونفاذه

---

(١) توفى ابن سلام سنه ٢٣١ هـ .

واستوحش عند حسه به ، وصدئ له وتأذى به ، كمتأذ سائر الحواس بما يخالفها . وعلة كل حسن مقبول الاعتداء ، كما أن علة كل قبيح منفى الاضطراب [١]

الذوق والنقـــد

عملية تذوق الإبداع عملية متشابكة متشعبة الأطراف يتداخل كثير من العناصر فى تشكيلها وتحديد هويتها .. وقد اختلفت شخصية المتذوق بحسب موقفه من النص هل هو المبدع نفسه الذي يعيد النظر فى عمله متأملاً متفحصاً ... ليدرك مواطن الكمال والجمال ليستزيد منها وينظر إلى النقص وما استقبح ليتخلص منه ويستبدله ... أم هو ذوق الناقد الذي رسخ فى ذهنه معايير وقيم تستحضر وتتداعي إلى الزهد حينما ينظر إلى العمل الأدبي تلك النظرة التى تتسم بالشمولية والكلية المعللة والمبررة فهو بذوقه ينظر إلى العمل ككل ولكن من منطلق مسئوليته يعمد إلى تفسير وتوضيح وتحليل العمل كأجزاء تصدر عنها رؤيته الكلية معللة .

فالذوق المدرب يفصح عن مواطن الجمال لأنها متفقة مع الطبع متمشية مع السليقة لائطة بالقلوب ويستبين القبح لنفور النفس منه واستوحاشه واستهجانه وهذا يستدعى التوغل فى ثنايا النقد واستبطانه وفهمه لما للنص من أهمية .

النص الأدبي شديد الخصوصية له توجه ما ويحوى شارات ملئ بمشاعر الأديب ورأيه واتجاهاته لذا وجب على المتلقى التنبه لتلك الشارات وأن يكـــون على دراية بمكنون النص وما يبوح به (من لمحات تأثير النص الأدبـــي فـــى مستمعه لحديثهم عن التشويق وطلب الأصغار وحديثهم عن السرور يخلف الظن وما إلى ذلك فالاحتفال بالأثر العاطفى للنص الأدبي إذن هو ما يسمي الدراســـة الأدبية لنأخذ مثلاً على ذلك أسلوباً يسمي فى البيان العربي بإسم " توكيد المدح بما يشبه الذم " هذا الأسلوب يرجع إلى معني المباغته التى تكسبه طرافه وتثيـــر

---

(١) عيار الشعر صـــ ١٤ – عن أسس النقد الأدبي صـــ ٥٤ .

حوله تنبهاً والاهتمام بالانفعال النفساني الذي يجده السامع هو مدار الفرق كله بين دراسة وأخرى وفقاً لهذا التقسيم السابق ذلك أن وظيفة الفن فى حياة الناس كما يقولون هي اكتساب المشاعر الدقيقة) [١]

فهو هنا يرمز إلى إيحاء النص الأدبي ومدي تأثيره شعورياً ونفسياً عند المتلقى وهذا هو الفرق الجوهري بين عمل وآخر فقد نستمع إلى عمل ما يحدث فى النفس أريحية ويهيئها للقبول والتوافق وآخر نقبل عليه بهمة ونشاط فلا يحدث الصدى المطلوب وتعزف النفس عنه بل وتكون حالتها ثابتة قبل الاطلاع عليه وبعد الاطلاع عليه .... ود / مصطفى ناصف يولى أهمية كبرى لمشاعر المتلقى وتصرفه وإزاء فهم النص وأرى أن فهم النص واستيعابه يتباين عن التعبير عنه وأدائه وكما قيل هناك أشياء تحيط بها المعرفة ولا تؤديها الصفة وهو يصف الناقد بالعجز إذا لم يعبر عن العمل المنقود بشكل جيد وقد أعلى كثير من النقاد من شأن العقل وأشاروا إلى ضرورة إعماله ليس إعمالاً هامشياً بل إعمالاً جوهرياً لأنه هو القائم بعملية التنظيم للمشاعر والأحاسيس حيث يجليها ويظهرها فى أفضل شكل ولولاه لكانت المشاعر والأحاسيس تعمها الفوضي ولا تثمر فائدة من مجرد الاطلاع عليها يقول د / شوقى ضيف [٢] .

وليست كل عناصر التجربة الفنية أحاسيس ونفساً ففيها أيضاً العقل والفكر وهو من أهم عناصرها إذ هو الذي يشرف على الأحاسيس وينظمها ولولاه لكانت خليطاً مضطرباً لا تسوده وحده ولا يسوده نظام ، فهو الذي يؤلف بين شتيتها ويجمع بين منثورها ويكوّن بناءها . وحقاً إنه عالم العقل يختلط بعالم النفس فى التجربة الفنية حتى لا يمكن التمييز بينهما ولكن مما لا شك فيه أن للعالم الأول فضل التأليف والتنسيق العام بن خواطر الشاعر بحيث تغدو وحدة

---

(١) دراسة الأدب العربي د / مصطفى ناصف صـ ١٣ الدار القومية للطباعة والنشر .

[٢] فى النقد الأدبي دكتور / شوقى ضيف مكتبة الدراسات الأدبية دار المعارف ١٩٧٧ طبعة ٥ .

حسنه الترتيب والتركيب وحدة عاشها صاحبها بكل ما يملك من قـوى عقليـة ونفسية .

الأمدى ت ٣٧٠ تحدث الأمدى فى الموازنة عن الذوق ويفهم من كلامه أنه ناقد موضوعي .. حيث يقول لابد من تدبير الحسن أو القبيح وإن كانت تلك الحتمية قد تتخلف أحياناً فيصدر الحكم بالاستحسان أو الاستقباح دون تعليل كان هذا يحدث فى مرات قلائل أما فى الأكثر فالحكم يكون مفصحاً عن أسبابه وتوجهاته طالما أن الناقد أخذ نفسه بالدربة والإطلاع والبصر بالشعر يقول الأمدى أذكر .... فى هذا الجزء المعاني التى يتفق فيها الطائيان ، فأوازن بين معني ومعني .... وأنبه على الجيد ، وأفضله على الردئ ، وأبين الردئ ، وأرذله ، وأذكر من علل الجميع ما ينتهي إليه التخليص ، وتحيط به العناية ، ويبقي ما لم يمكن إخراجه إلى البيان ، ولا إظهاره إلى الاحتجاج ، وهي علة ما لا يعرف إلا بالدربة ، ودائم التجربة ، وطول الملابسة وبهذا يفضل أهل الحذاقه بكل علم وصناعة من سواهم ممن نقصت قريحته ، وقلت دربته ... ولن ينتفع بالنظر إلا من يحس أن يتأمل ، ومن إذا تأمل علم ، ومن إذا علم أنصف . ثم إن العلم بالشعر خص بأن يدعيه كل أحد وأن يتعاطاه من ليس من أهله ، فلم لا يدعى أحد هؤلاء المعرفة بالعين ، والورق [١] ، والخيل ، والسلام ، والبز [٢] والطيب وأنواعه ، ولعله قد لابس من أمر الخيل وركوبها ، والسلاح والعلم بذلك ، والثياب ولبسها ، والطيب واستعماله أكثر مما عاناه من أمر الشعر وروايته ، فلا يتهم نفسه فى المعرفة بالشعر ، تهمته إياها بالمعرفة ببعض هذه الأشياء مما عاناه ، وتاوله . وما با له ... لما أعجبه من ثوب الوشى حسن طرزه ، وكثرة صورة ، وبديع نفوشه ، واختلاط ألوانه ، لم يبادر إلى إعطاء ثمنه ، حتى رجع

---

(١) العين :الذهب . والورق : الفضة .

(٢) البز : الثياب من الكتان أو القطن .

إلى أهل العلم بجوهره ، وكثر مائة ، وجودة رقعته ، وصحة نساجته ، وخلاص إبريسمه [١] فكيف لم يفعل ذلك بالشعر لما راقه حسن وزنه وقوافيه ، ودقيق معاينه ، وما يشتمل عليه : من مواعظ ، وأدب ، وحكم وأمثال فلم يتوقف عن الحكم له على ما سواه حتى يرجع إلى من هو أعلم منه بألفاظه ، واستواء نظمه ، وصحة سبكه ، ووضع الكلام منه فى مواضعه ، وكثرة مائة ورونقه ، إذا كان الشعر لا يحكم له بالجودة إلا بأن تجتمع هذه الخلال فيه ، ألا ترى أنه قد يكون فرسان سليمان من كل عيب موجود فيهما سائر علامات العتق والجودة والنجابة ، ويكون أحدهما أفضل من الآخر بفرق لا يعلمه إلا أهل الخبرة والدربة الطويلة . وإذا قيل له : من أين فضلت هذا الفرص على صاحبه لم يقدر على عبارة توضح الفرق بينهما ، وإنما يعرفه بطبعه وكثرة دربته ، وطول ملابسته ، فكذلك الشعر : قد يتقارب البيتان الجيدان النادران . فيعلم أهل العلم بصناعة الشعر أيهما أجود ، إن كل معناهما واحدا أو أيهما أجود فى معناه إن كان معناهما مختلفا ... وحكي إسحق الموصلي قال : قال لي المعتصم : أخبرني عن معرفة النغم ، وبينها لي : فقلت : إن من الأشياء أشياء تحيط بها المعرفة ، ولا تؤديها الصفة ... وأنه ليس فى وسع كل أحد أن يجعلك أيها السائل فى العلم بصناعته كنفسه ، ولا يجد إلى قذف ذلك فى نفسك ، ولا فى نفس ولده ومن هو أخص الناس به سبيلا ، ولا أن يأتيك بعلة قاطعة ولا حجية باهرة [٢] على حد قول د / أحمد بدوى .

اختلاف الآراء لاختلاف الأذواق :

إذا كان النص الأدبي يخضع لأذواق النقاد فلابد أن يصدر عن مرجعية ثقافية للنقاد . والنقاد مختلفون فى ثقافتهم وبالتالي فى أذواقهم فهل يعني ذلك اختلاف

---

(١) الإبريسم : الحرير .

(٢) الموازنة بين أبي تمام والبحترى صـ ١٧٦ وما يليها .

الأحكام وتباينها على العمل الواحد أجاب على ذلك دكتور / أحمد العزب حين قال : " ومادام الذوق ملكة ناهضة على تكوينات لها خصوصياتها لدي ناقد معين فلابد أن تتفاوت أحكام النقد على ضوء تفاوت تكويناتهم الفكرية والفنية ، ولا يعني هذا التفاوت أن بعضها حقيقي والآخر باطل ، بقدر ما يعني أن كل ناقد يرى المقولة الإبداعية من منظور معين خاص به وكلما اقترب الناقد من موضوعية الرؤية أي محاكمة النصوص على ضوء ثوابت نقدية معترف بها كلما كان أكثر ارتقاء وأقرب إلى إجماع النظر فى القضية الفنية المطروحة "

فهو يطالب بتنحية الآراء الذاتية واستبعادها وأن يكون الحكم من خلال العناصر العامة المجمع عليها . وهي الثوابت التى طالب النقاد بتواجدها فى كل عمل أدبي .

النقاد القدامى دعوا لضرورة الثقافة والاطلاع لأن ذلك يتبعه الحكم الصائب عن الأعمال المختلفة .

القاضى الجرجانى : أعلى القاضى الجرجاني من قيمة الذوق المدرب الواعي الذي يتسم صاحبه "بدقة الفطنة

ولطف الفكر وبعد الغوص وصفاء القريحة " و الذوق المدرب الراوى للشعر المؤسس فوق " صحة الطبع وإدمان الرياضة " وأبان عن ذلك فقد يعرض على الإنسان عملان أدبيان يرى الإنسان العادي أنهما متماثلان ومن عنده فكره عن النقد يجد أحدهما أرقي من الأخر لأسباب لغوية أو بنائية فى العمل لكنه الذوق فقد يستجيد المفضول وينبو عن الفاضل وهذا الذوق هو المدرب المثقف الذي يعتد به أو قد يستطيع أن يبرز سبب استحسانه وقد لا يستطيع لأن من أسباب الجمال – ما عرف وعلل ومنه مازال غامضاً مبهماً .

ويمهد للفصل الذي يحدث فيه عن عيوب المتنبي أو ما أخذ عليه " وأنا أعدل إلى ذكر ما رأيتك تنكر من معانيه وألفاظه وتعيب من مذاهبه وأغراضه وتحيل فـــى ذلك الإنكار على حجة أو شبهة ، وتعتمد فيما تعيبه على بينة أو تهمة إذ كان ما

قدمت حكايته عنك وما عددته من مطاعنك وأثبته من الأبيات التى استسقطتها وملت على هذا الرجل لأجلها من باب ما يمتحن بالطبع لا بالفكر ، ومن القسم الذي لاحظ فيه لحاجة ولا طريق له إلى المحاكمة وإنما أقصي ما عند عائبة وأكثر ما يمكن معارضه أن يقول : فيه جهامة [١] سلبته القبول ، وكزازة [٢] نفرت عنه النفوس ، وهو خال من بهاء الرونق [٣] وحلاوة المنظر وعذوبة المسمع، ودماثه [٤] النثر [٥] ورشاقة المعرض،قد حمل التعسف[٦] على ديباجته [٧] واحتكم التعمل فى طلاوته [٨] وخالف التكلف بين أطرافه وظهرت فجاجة التصنع فى أعطافه [٩] واستهلك التعقيد معناه ، وقيد التعويض مراده ، وهذا أمر تخبر به النفوس المهذبة وتشهد عليه الأذهان المثقفة ، وإنما الكلام أصوات ، محلها من السماع محل النواظر من الأبصار وأنت قد ترى الصورة تستكمل شرائط الحس وتستوفي أوصاف الكلام وتقف من التمام بكل طريق ثم تجد أخرى دونها فى انتظام المحاسن والتئام الخلقة ، وتناسب الأجزاء وتقابل الأقسام وهي أحظى بالحلاوة ، وأدني إلى القبول ، وأعلق بالنفس ، وأسرع ممازجة للقلب "[١٠].

---

(١) الجهام : العبوس .

(٢) الكزازة : اليبس ، والتقبض .

(٣) الرونق: الطلاوة والإشراق .

(٤) الدماثة : السهولة واللين .

(٥) يريد بالنثر : عرض أفكار الموضوع .

(٦) التعسف فى القول : الأخذ فيه على غير هداية .

(٧) الديباجة فى الأصل: قطعة من ثوب حريرى ، ويراد بها هنا الكلام المنظوم والمنثور ونسج هذا الكلام

[٨] التعمل : التكلف . والطلاوة : الحسن .

[٩] أعطافة : جوانبه .

[١٠] أسس النقد الأدبي صـ ٩٧ – ٩٨ .

(ثم لا تعلم وإن قايست ، واعتبرت ، ونظرت ، وفكرت ، لهذه المزية سببا ولما خصت به متقضيا ولو قيل لك : كيف صارت هذه الصورة ، وهي مقصرة عن الأولي فى الأحكام والصنعة وفيما يجمع أوصاف الكمال ، وينتظم أسباب الاختيار - أحلى وأرشق ، وأحظى وأوقع - لأفحمت السائل مقام المتعنت المتجانف [١] ورددته رد المستبهم الجاهل ولكان أقصي ما فى وسعك ، وغاية ما عندك أن تقول : موقعه فى القلب ألطف وهو بالطبع أليق ولم تعدم مع هذه الحال معارضا يقول لك : فما عيت من هذه الأخرى ؟ وأى وجه عدل بك عنها ؟ ألم يجتمع لها كيت وكيت ؟ وتكامل فيها ذية وذية ؟ وهل للطاعن عليها طريق ؟ وهل فيها لغامز مغمز ؟ يحاجك بظاهر تحسه النواظر وأنت تحيله على باطن تحصله الضمائر كذلك الكلام : منشوره ومنظومه ومجمله ومفصله تجد منه المحكم الوثيق والجزل القوى والمصنع المحك [٢] والمنمق الموشح قد هذب كل التهذيب ، وثقف غاية التثقيف ، وجهد فيه الفكر ، وأتعب لأجله الخاطر حتى احتمي ببراعته من المعايب واحتجز بصحته عن المطاعن ثم تجد لفؤادك عنه نبوة وترى بينه وبين ضميرك فجوة فإن خلص إليهما فبأن يسهل ببعض الوسائل إذنه ويمهد عندهما حالة فأما بنفسه وجوهره وموقعه فلا هذا قولي فيما صفي وخلص وهذب ونقح فلم يوجد فى معناه خلل ولا فى لفظه دخل [٣] .

" فأما المختل أو الفاسد المضطرب فله وجهان : أحدهما ظاهر يشترك فى معرفته ، ويقل التفاضل فى علمه ، وهو ما كان اختلاله وفساده فى باب اللحن والخطأ من ناحية الإعراب واللغة وأظهر من هذا ما عرض له ذلك من قبل الوزن فإن العامى قد يميز بذوقه الأعاريض والأضرب ، ويفصل بطبعه بين الأجناس والأبحر ويظهر له الانكسار البين والزحاف السابغ والآخر غامض

---

[١] يريد بالمتجانف : العادل عن طريق الصواب .

[٢] المحكك : الذي يشتفى به .

[٣] الدخل: العيب - المرجع السابق صـ ٩٨ .

يوصل إلى بعضه بالرواية ويوقف على بعضه بالدربة ويحتاج فى كثير منه إلى دقة الفطنة ، وصفاء القريحة ولطف الفكر وبعد الغوض . وملاك ذلك كله وتمامه الجامع له والزمام عليه : صحة الطبع وإدمان الرياضة فإنهما أمران ما اجتمعا فى شخص فقصرا فى إيصال صاحبهما عن غايته ورضيا له بدون نهايته . وأقل الناس حظا فى هذه الصناعة من اقتصر فى اختباره ونفيه وفى استجادته واستسقاطه - على سلامة الوزن وإقامة الإعراب ، وأداء اللغة ثم كان همه وبغيته أن يجد لفظا مروقا وكلاما مزوقا قد حشى تجنيسا وترصيعا وشحن مطابقة وبديعا أو معني غامضا قد تعمق فيه مستخرجه وتغلغل إليه مستنبطه ثم لا يعبأ باختلاف الترتيب واضطراب النظم وسوء التأليف ، وهلهلة النسج ولا يقابل بين الألفاظ ومعانيها ولا يسبر ما بينهما من نسب ولا يمتحن ما يجمعان فيه من سبب ولا يرى اللفظ إلا ما أدي إليه المعني ولا الكلام إلا ما صور له الغرض ولا الحسن إلا ما أفاده البديع ولا الرونق إلا ما كساه التصنيع وقد حملني حب الإفصاح عن هذا المعني على تكرير القول فيه وإعادة الذكر له ؛ ولو احتمل مقدار هذه الرسالة استقصاءه واتسع حجمها للاستيفاء له لا سترسلت فيه ولأشرفت بك على معظمه [١]

فالنقاد القدامى كانوا يعلون من شأن الذوق منهم من يجعله الحكم الأول والأخير ولكنه الذوق المدرب الموهوب لصاحبه دون أن يكون له دخل فى ذلك لكن أثقله ونماه بكثرة اطلاعه على الآداب المختلفة ودراسة المعارف المتعددة ولا غني باكتساب تلك المعارف - من بلاغة - نحو - عروض - لغة - بدون الموهبة الأصلية فى النقد وإلا كان مجرد عالم بقواعد تلك العلوم والمعارف لكنه غير ناقد ... أما الناقد فهو من أخذ من كل فن بطرف مستنداً إلى ذوقه وملكته الذاتية فهي الفيصل بل إن ابن رشيق حين قال : بعد أن تحدث عن أوزان

---

(١) الوساطة بين المتنبى وخصومة صـ ٣١٠ وما بعدها .

الشعر : " قد ذكرت ما يليق ذكره بهذا الموضع ليعرفه المتعلم إن شاء ، غير متكلف به شعرا إلا ما ساعده عليه الطبع ، وصح له فيه الذوق ، لأني وجدت تكلف العمل بالعلم فى أمر من أمور الدين أوفق إلا فى الشعر خاصة ، فإن علمه بالطبع دون العروض أجود لما فى العروض من المسامحة فى الزحاف وهو مما يهجن الشعر ويذهب برونقه [١] فهو يوجه الشاعر المنتج إلى الاعتماد على طبعه حين ينظم لا على ما يتعلمه من العروض .

من المعروف أن الغاية السامية لدراسة أي علم من العلوم هي الوقوف على إعجاز آي القرآن وإدراك بلاغته وحلاوته وحسن رونقه وبهاء لفظه .. والنقد قاسم لهذه العلوم فى تلك الغاية فالنفس إذا تدربت باقتفاء أثر الجيد واجتناب الرديء بعد أن تدرك الرديء من الجيد وأسباب إطلاق هذا الحكم أو ذالك تستطيع أن تقر وتكرر عن بينة أن القرآن الكريم بلغ الغاية القصوى من الفصاحة والبلاغة وحسن البيان لأن إدراك الجمال يتم من خلال طول معايشة ومصاحبة للنماذج الجمالية التى تواترت علينا على مر العصور وهذا الإدراك يجعل الذوق صائباً لأنه يستند إلى قاعدة وضعها ذوو العلوم والمعرفة فلا مجال للتخبط فى الحكم أو اختلاط الصفو بالكدر .

وظائف النقد :

النقد له أهمية عظمى إما " يزرى ويهجن أو يقبل ويستحسن بعبارة أخرى النقد الذي يتجاوز فيه الناقد درجة الشعور إلى درجة التفكير فى الشعور ومعرفة الأسباب التى من أجلها يرضى عن القصيدة أو يسخط عليها " [٢]

والنقد قد تطور لحد كبير فلا يعقل الآن أن توجد قطعة نقدية بها من الفكر ما يكتب النصوص الابتدائية من نحو الكلمة معناها – الصور الأخيلة

---

(١) المرجع السابق صـ ٩٩ .

(٢) فى النقد الأدبي شوقى ضيف صـ ٩ .

المعاني (إن مثل هذا المنهج النقدي لا يخرج فى شيء عن منهج النقد التقليدى عند العرب وهو يعتبر اليوم قديماً بالياً بالنسبة إلينا بعد أن اتسعت آفاقنا النقدية وأصبحنا نبحث فى فلسفة الأدب وأهدافه ومصادره ووظائفه فى الحياة فى خصائصه الجمالية ومبادئه الفنية وأصالته المتميزة) [١]

والنقد متشعب الاتجاهات بتعدد المنقود شعر – نثر – كذلك متعدد الزوايا التى ينظر من خلالها الناقد فقد ينظر إلى المعني فسيستقصي ما يدور حوله من الابتكار والتقليد والصحة والخطأ الصدق والكذب الاقتصاد والمبالغة الخصوصية والعموم إلى غير ذلك مما يخص المعني .

أو نظر إلى الخيال ... ليرى جمال التشبيه أو قوة الاستعارة أو روعة الكناية ... وقد ينظر إلى الأسلوب من حيث الضعف والقوة الوضوح والغموض الجمال والقبح .

وقد يسلط الناقد الضوء على الأديب المنشئ ليعرف إحساسه ومدي قوته وتأثيره فى النفس ومخالطته للقلب أو مدي إنسانيته أو شذوذه .

وقد ينظر لتفرد الشاعر فى فن ما أو مشاركته لغيره إتقانه لعدة فنون قولية أو لفن واحد منها .

وتتم الموازنات بين الشعراء من جهات مختلفة اللفظ المعني الأسلوب الخيال وتضمن دراسة ظروف الأديب وما تعرض له فى حياته .

فهم النص :

من المعروف أن الغاية من الاطلاع على العمل الأدبي هو فهمه وتوضيحه والتعبير عنه وإيصاله لسائر المتلقين من أقرب الطرق والمتلقى هنا – وأعني به الناقد المثقف ذا الذوق المدرب الواعي يعتمد على الإحساس (إن المفهومات التى تعتمد على الإحساس المباشر مفهومات غامضة ونحن ننكر هذا الغموض

---

[١] النقد والنقاد المعاصرون د / محمد مندور صـ ٢٢ دار نهضة مصر .

لكن الرواد عدو التأبي على التعليل والتحديد من ملامح الإدراك الصحيح للنص الأدبي والذي يتأبى على التحديد هو – كما قلنا – التعبير المباشر عن الإحساس وإذا أصررنا على أن نستخرج احساساتنا المباشرة فلن ننتهي إلى شيء واضح ومن الغريب أن بعض الرواد أدرك الحاجة إلى الدراسة النفسية واستبقي فى الوقت نفسه هذه " الانطباعات " وبعبارة أخرى أن العلم إنما يخدم تعقل النص . يعني أن الاستبطان الشخصي تقلم أظافرة أو يهذب ولا يطلق له الحبل فإطلاق الحبل لإحساس القارئ أو استطانه مسألة فيها نظر) [١] .

والحق أن من التعسف فصل النقد الأدبي وفوائده عن علوم البلاغة لأنهما تلازما بحكم المنشأ والموضوع – لفترات طويلة فكلاهما تواجد فى فترة زمنية تقريباً واحدة وارتبطا بالفن الأدبي شعراً أو نثراً ببيان ما يحوى من جمال أو ما أصابه من قبح وذلك لأن علوم البلاغة تدرس جملة وتفصيلاً مادة الأدب فهي تتناول شروط فصاحة الكلمة وبلاغة الكلام . ويدرس علم المعاني ما يستفاد من وضع الجملة على نحو خاص فيه تقديم أو تأخير وذكر أو حذف ووصل أو فصل إلى غير ذلك مما يتناوله هذا العلم من مسائل تدور كلها حول ما يكسب الجملة القوة والوضوح.

أما علم البديع فمسائله تدور حول ما يكسب الجملة الجمال ويتناول علم البيان دراسة وسائل الخيال عند العرب من تشبيه واستعارة وكناية يحدد ذلك كلـــه ويضرب له الأمثال ويبين المقبول منه وما لا ترضي عنه الأذواق " .

الذوق الأدبي : يعد الذوق الأدبي جزءاً من الذوق الإنساني العام فالإنسان بفضل تكوينه وخلقته يمتلك الحاسة

الجمالية التى لا تنفصل عن وجوده وهي التى توجهه وجهة ما فى الحكم على الأشياء وتصوره لها ... والشاعر بصفة خاصة تتوغل فيه تلك الحاسة

---

(١) دراسة الأدب العربي د / مصطفى ناصف صـــ ١٩ ، ٢٠ .

بشكل أعمق وتظهر جلياً فى تصرفاته وأعماله وسلوكه ... لذا اهتم النقاد بتبصير الشاعر بما يزينه لكي يفعله وما يشينه ليتجنبه .

فأرشدوه إلى ما يتفق مع الذوق الإنساني والسياق العام للحديث : " ومن أول هذه المعاني الإنسانية العامة استعمال الألفاظ التى لا يتطير منها المخاطب ، أو يكره أن يسمعها أو لا يجب أن يبتدئ منها الحديث أو تكون المفاجأة بها إزعاجاً لشعوره أو إيلاماً لحسه ، وهكذا لا يرضي بالمباغتة بما يزعمه ولا الطفرة فى الانتقال من حديث إلى آخر ولا انقطاع القول دون تمهيد لهذا الانقطاع الغير مترقب و لهذا نري علماء البلاغة يركزون - فى هذا المبدأ - على المواطن الثلاثة المسماة بالابتداء والتخلص والانتهاء أو المطلع والمقطع والانتقال [١] .

وعلى الرغم أن هذه الأشياء الثلاثة ليست من فروع علوم البلاغة إلا أن النقاد القدامى أولوها اهتمامهم وحثوا على مراعاتها باعتبار أنها من الدقائق التى لا يفطن إليها إلا الخواص من أهل هذا العلم والصفوة المختارة من جهابذة البيان حين تتمكن ملكتهم وتنمو مقدرتهم وتصفو قريحتهم ويسمو عندهم هذا الإحساس الذي يدل على الصبر والحذق والحسن والقبيح على حد قول السكاكى فى تلخيص المفتاح .

وحسن الاستهلال أو بداية الحديث من الأشياء التى ولاها القدامى الاهتمام الكبير يقول أبو هلال العسكرى فى الصناعتين [٢]

فالقدامى كانوا يملكون الصبر الجاد ... والإطلاع على خفايا النفس ومعرفة ما تهيئ له النفس وتطرب له الروح ... ثم ينتقل من المطلع الحسن إلى الغرض المراد بنقله لطيفة وإحساس رقيق فلا يشعر المتلقى أن الحديث قد انتقل

---

(١) فى محيط النقد الأدبي د / إبراهيم على أبو الخشت صـ ٢٠ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥ .

(٢) المرجع السابق صـ ٢٢ .

وأن الكلام قد اختلف حسن التخلص وهو الانتقال إلى الغرض الأساس ... بعد المقدمة أوالمطلع وكان الجاهليون يبدأون قصائدهم غالباً بالغزل ثم ينقلون إلى الغرض المقصود بمهارة ولياقة وهذا لإدراكهم أهمية الانتقال من معني إلى معني وأن المتلقي فى حالة نفسية محددة فلابد أن تراعي ولا ينتقل انتقالاً مفاجئا

وصافيه تعشى العيون رقيقـــة سليلة عـــــام فى الدنان وعام
أدرنا بها الكأس الروية بيننـــا من الليل حتى انجاب كل ظلام
فما ذر قرن الشمس حتى كأننا من العى نحكى أحمد بن هشام

فنظن أنه يتحدث عن الخمر فى الكؤوس ،وفعلها بالرؤوس وأن أحمد بن هشام هذا مجرد مشبه به أراد أن يقول أن المخمورين عقدت الخمر لسانهم وأذهبت بيانهم فلم يحسنوا النطق ولم يتماسك لهم حديث ألا أن ذلك لم يكن مقصودا – لأن الخمر هكذا تفعل بشاربها – وإنما المقصود رمى أحمد بن هشام بالعى البالغ أو العجمة المتمكنة وهي براعة من غير شك وأنت أمام هذا التلطف فى الانتقال أو الدبيب الخفي فى التحول لا يسعك إلا أن تقول صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول " إن من البيان لسحرا " .

وسيد الشعراء فى مثل هذا التخلص هو المتنبى وذلك إذ يقول :

خليلى مالى لا أرى غير شاعر فلم منهم الدعوى ومنى القصائد
فلا تعجبا أن السيوف كثيرة ولكن سيف الدولة اليوم واحـــد

ومن التخلص اللطيف قول ابن وهيب – وهو يتغزل ثم يمدح

مازال يلثمنى مراشفـــه ويعلنـــى الإبريق والقدح
حتى استرد الليل خلعته وبـــدا خلال سواده وضح
وبدا الصباح كأن غرته وجه الخليفة حين يمتدح

حسن الانتهاء إغلاق الموضوع ... له أسس وقواعد فإذا كان المتلقي فى حالة ترقب وانتظار ويتابع ما يقوله الأديب فيجب على الأديب أن يوحي إليه –

أثناء الحديث – إنه على وشك الفراغ من القول بإمارات ودلائل معروفه وبذا لا يفاجئ بالانتهاء فتحدث له صدمة لأنه كان يتوقع استرسال المخاطب فى الحديث فإذا انقطع بلا بوادر تفيد هذا الانقطاع يعتريه ما يشبه ما يسمونه القصور الذاتي أو الحركة العكسية التى تهز الجسم على الوراء وهنالك ينزعج الشعور ويهتز الخاطر ويتألم الوجدان بسبب ذلك التوجيه الذي لم يكن مترقبا وهو إلى جانب كونه كالسكتة القلبية – والعياذ بالله – يجعل الموضوع كالثغرة المفتوحة أو العورة المكشوفة وإذا كان أول الشعر مفتاحه – كما يقول ابن رشيق – وجب أن يكون آخره قفلا عليه ، وقد جرت عادة الشعراء أن يجعلوا ذلك متضمنا لحكمة تروى كقول لقيط .

لقد محضت لكم ودى بلا دخل فاستيقظوا أن خير العلم ما نفعا

ومن الانتهاء الرائع قول المتنبى :

قد شرف الله أرضا أنت ساكنها وشرف الناس إذ سواك إنسانا

وهكذا يكون ذلك كله ذوقا إنسانيا – أو عاما – لابد أن يوجد عند الناس جميعا – لأنه جمال لابد من توفره وحسن لابد من مراعاته

أهمية توافر الذوق الأدبي : يعد الذوق الأدبي من المواهب التى يخص الله بها الصفوة الممتازة

من عباده فلا يكتسب من تحصيل ولا حفظ ولا ينتقل ولا يتوارث وإنما هو استعداد فطري لدي الإنسان على التميز والإدراك فقريحته قادرة على الفصل واتخاذ الرأي وإصدار الحكم للتفريق بين الجيد والأجود .. فقد يطالع الإنسان أشياء جيدة فإذا ما كانت ملكة الذوق لديه عالية وصافية استطاع أن يصدر الحكم تحت مسمي الاستساغة والذوق حيث يكون هو المرجع لإصداره الحكم لا غير ... و إذا كان الذوق يتنبذب وتختلف من شخص إلى آخر بل لدي الشخص نفسه من وقت إلى آخر فقد يطالع الإنسان عملاً حزيناً وكان فى حالة نفسية مبتهجة فلا يحظى لديه بالقبول أو العكس ومن ثم يكون حكمها عليه حكماً فاتراً غير

مكتمل الأركان ... لذا لا يعتد إلا بحكم أصحاب العقول وذوي الخبرة حيث يكون الرجل " نافذ البصيرة صادق الحس عامر القلب الطاهر الوجدان سليم الأحاسيس ينقد الأشياء نقد المميز ويقارن بينها مقارنة الحصيف ويعرف معرفة دقيقة مكانتها من الجودة والحسن إذا كان فيها جودة وحسن وإبداع وخلق وبراعة وإتقان " .

وليس معني ذلك أن يعتمد على الملكة الفردية والموهبة الربانية فقط بل يجب أن تكون تلك الموهبة هي اللبنة التى تستكمل بالبحث والتحصيل وأخذ النفس بالاطلاع على المبادئ والأسس التى وضعها القدامى ليكون النقد مبيناً على ركائز ثابتة فالمعتد به " الذوق القائم على التحصيل والعلم والقراءة والإطلاع والممارسة والتجارب والمزاولة والوعي حين يتحول إلى ملكه راسخة وقمة شامخة وطبع لا يتخلف وهذا حد الذوق الذي لا يزاحمه ذوق ولا يلغيه عقل ولا يأباه منطق " (١)

مكونات الذوق : إذا كان الذوق استعدادا فطريا أصقل بالقراءة والإطلاع فإن دعائمه تلك لابد من توافرها فى

الناقد ... والناقد يجب أن يسلح نفسه بالثقافات المتعددة قديمها ومحدثها لكي يستطيع أن يعبر عن نفسه وعن موقفه من هذا النص فالناقد مطالب بأن (يفهم وأن يفسر أكثر من أن يوزع التقاريظ والانتقادات بينما مبدأ الـ Eclecticism وهذا المذهب يعني أن المفكر يكون حراً فى اعتناق مختلف الآراء من مختلف المذاهب وألا يكون ملزماً بمذهب واحد لا يغيره ولا يعتنق إلا آراءه بل هو يستمد بحرية من مختلف المصادر ما يوافقه فى الرأى والذوق وهذا المذهب وهو أحد المميزات البارزة لعصرنا ، والطرق النشوئية الارتقائية التى تغزو بسرعة كل ميدان فكري قد اجتمعا لكي يعطيا الناقد الحديث سعة فى

---

(١) المرجع السابق صـ ٣١ .

النظرة ومرونة فى الفهم وتسامحاً فى العطف وإدراكاً لما يصيب الشخصية والعلاقات التاريخية من التغيير والنمو) [١]فلا شك أن التغيير سنة الحياة ويصيب كل شيء فيها وإذا كان الأدب هو التعبير عن الحياة أو بعضها بعبارة جميلة [٢] فلابد أن التغيير سيلحقه ويؤثر فيه بشكل جوهري فها هو الناقد الآن صار يتمتع بالحرية وبدلاً من تصدير كلمة " إن لهذا العمل رونق – وأن له ماء " دون أن يفسر ما مقصده أو مفهومه عن هذه العبارة أو تلك صار النقد علماً منظماً ورايات متعددة وألوية متنوعة كل من هؤلاء ينضوى على أسس ومبادئ وتوجهات للناقد أن يختار ما شاء منها ليعبر فى ظلها ويتحدث من خلال منبرها وعندئذ يكون نقده جديراً بالاحترام حقيقاً بالتفحص والنظر ولا شك أن (النقد المنظم والعلم المنظم والمران على الصنعة هي أشياء لازمة تماماً وقد قال كاتب من أبرع النقاد المحدثين " ليس للقارئ العادي الذي تسيره الصدفة الحق فى أن يحكم على العمل والفن بدون تربيه طويلة شاقة لذوقه فإذا لم تكن توجد الموهبة الفطرية فلا أقل من الخبرة المكتسبة بالصنعة والاحتراف) [٣].

العاطفة والعقل والحس إذا توافرت لدي الناقد يستطيع من خلالها أن يصدر حكمه على الأثر الأدبي ويدرك ما فيه من كمال وجمال أو نقص ودمامة وبذلك يتم الاستمتاع به وتمتلك القدرة على محاكاته ... وربما تعد العاطفة أهم عنصر من عناصر تكوين الذوق وإذا كان الذوق نتيجة لاعتماده على ركائز غير موضحة المعالم أو فاصلة – العاطفة العقل – الحس – التحصيل والاكتساب حيث إنها تختلف من شخص إلى آخر ويختلف التفاعل معها أو بها إلا أنا نستطيع – تقديراً – أن نصف النقاد فى صفوف ترتكز على ما تهوى نفوسهم وما يميلون له فمن غلب عليه عنصر الفكر آثر شعراء المعاني أمثال أبي تمام

---

(١) النقد الأدبي أحمد أمين صـــ ١٨٩ طبعة ٣ مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٣ .

(٢) المرجع السابق صـــ ١٩٠ .

(٣) النقد الأدبي أحمد أمين صـــ ١٩٠ .

وابن الرومى والمتنبي والمعرى وفضل كتاب الثقافة كالجاحظ وأبي حيان التوحيدى وابن خلدون ومن غلبت عليه العاطفة فتن بشعراء النسيب والحماسة والعتاب وبالخطباء والوصاف ومن كان شديد الحس فضل أسلوب البحترى وشوقى والموسيقي والرسم .

وبذلك نستطيع أن نقول إن الذوق فى أساسه موهبة وفطرة توجد لدي إنسان وتخلف عن آخر لكنها تثقل بالدراسة والإطلاع وأخذ النفس بالدربة والتمرين وبذلك نجد الناقد الفذ قد جمع بين الاثنين الموهبة والخبرة فإذا ما طالع عملاً أدبياً استطاع أن يبدي فيه رأيه بشكل صحيح لقيامه على دعامتين أساسيتين وهما الفطرة والخبرة ومنهما يتكون الرأى الصحيح يقول : د / إبراهيم أبو الخشب والمقرر أن الذوق فى أصله هبة طبيعية تولد مع الإنسان يعبرون عنها بصفاء الذهن وخصوبة القريحة وجمال الاستعداد ويظهر أثر ذلك فى ميل الناشئ الموهوب منذ الطفولة إلى كل فن من الفنون الجميلة دون غيره ممن سلبوا هذا الاستعداد وبعد ذلك يأتي التهذيب والتعليم فليس من شك أن الدرس ينمي الذوق ويهذبه ويسمو به إلى درجة محمودة فالأديب ذو الفطرة الذواقة يفيد من قراءة الأدب ومعالجة الفنون فنراه بعد قليل مصقول الذهن والذوق يضع يده على العبارة البليغة والخيال الجميل ويدرك صدق العاطفة ، وينفر من كل مضطرب كاذب ويكون لتربيته العقلية الجميلة دخل كبير فى أحكامه الأدبية واتزانها كما يكون قادرا على إنشاء الأساليب البارعة وصوغ الأخيلة الحلوة وصدق التعبير عن أسمي العواطف وأقواها .

يوافق على ذلك النقاد القدامي حيث لا يعتدون إلا الذوق المدرب يقول الأمدى فى وساطته إنما نعني بالذوق المهذب الذي صقله الأدب ، وهذبته الرواية وجلته الفطنة وألهم الفصل بين الردئ والجيد وتصور أمثلة الحسن والقبيح وأصحاب الذوق السليم قليلون وهم مضطرون دائما إلى حفظ أذواقهم من الآفات التى تفسدها .

الذوق ..... ومُشكله : إن الذوق ملكة تتكون من عدة عناصر مختلفة وأجزاء متنوعة يقول د/طه أبو كريشه

(هذه الملكة بعد أن تتمكن وترسخ فى النفس فإنها تؤدي عملها النقدى فى إدراك الجيد والردئ من الكلام " بأدنى فكر ، بل وبغير فكر إلا بما استفاد من حصول هذه الملكة ، فإن الملكات إذا استقرت ورسخت فى محالها ظهرت كأنها طبيعة وجبلة لذلك المحل) [١] وهذا معناه أن الذوق الأدبي بعد أن يصير ملكة فإنه يسبق العقل فى الأحكام ، ويؤدي عمله النقدى بطريقة تكاد تكون عادية أو آلية ، وهو ما يذهب إليه النقد الحديث [٢]، مسبوقاً فيه بالفكر العربي القديم .

وإذا فنحن نستبعد أساساً من عالم النقد ذلك الذوق السطحي ذ القراءة العابرة غير المتعمقة كما نستبعد الذوق الذي يكون كل حصيلته فى معرفة الجيد والردئ من الكلام ، مستمداً من القواعد التى لا تعايش النصوص الأدبية إلا بشيء ضئيل من قبيل الشاهد والمثال وذلك لا يكون ذوقاً، ولا يخلق حساً دقيقاً لنبض الكلام ، وومض الحديث وبالتالي فنحن لا نقر فى عالم النقاد من يدعون النقد الدخلاء فيه ، وهم لا يملكون عدته ولم يتزودوا بوسائله . هؤلاء هم الجناة على النقد فى كل زمان "

هكذا يتضح لنا أن الذوق له مؤثرات عديدة يتأثر بها ويتكون بناء على تواجدها ... وقد قال النقاد أن الذوق يتأثر أيما تأثر بالمزاج الشخصي للناقد .. وبيئته وزمانه ... وجنسه ... ونشأته

فالمزاج الشخصي أهم العناصر المشكلة للذوق الأدبي وهي التى توجهه وجهة ما فالفليسوف يميل إلى أبي العلاء ... والصوفي يميل إلى ابن الفارض

---

(١) سر الفصاحة ابن سنان الخفاجي تعليق عبد المتعال الصعيدي القاهرة مطبعة صبيح صـ ٣٣٨ - ١٩٥٢ - نقلاً عن أصول النقد الأدبي د / طه مصطفى أبو كريشه صـ ٥٥ الشركة المصرية العالمية لونجمان طبعة ١٩٩٦ .

(٢) مقدمة ابن خلدون صـ ٥٧٣ المكتبة التجارية .

والزاهد يحب أبا العتاهية والحكيم يفضل المتنبى ... وهذا فالإنسان يميل إلى ما يتفق مع هواه ويناسب رغباته وميوله .

البيئة : المقصود به البقعة التى نشأ بها الأديب وما لها من خواص طبيعية أو عادات بشرية أو متراكمات حضارية

ينشأ فى ظلها الأديب ويتأثر بها وينفعل معها سواء أكان ذلك فى زمن واحد أو أزمنة متتابعة مما يشكل الذوق الأدبي ويسمه بمبسه فما يفضله النقاد فى بدو الجاهلية يختلف عما يفضله النقاد الذين عاشوا فى كنف الحضارة أو أصابوا سهماً المدنية .

فقد اختلف شعر عدي بن زيد فى الجاهلية عن شعر زهير بن أبي سلمي ... وبتتابع الزمن اختلف الذوق فى العصر العباسي – على شطي دجله والفرات عنه فى جزيرة العرب .

الزمان : فاختلاف الزمان وانتقاله من عصر إلى عصر ينقل معه سمات وخصائص فيميت بعضها ويستبقى بعضها ويستحدث

أيضاً الجديد .... ولا شك أن النقد يتأثر بكل ذلك وانتقال الإنسان من عصر إلى آخر فى درجات الرقى من شأنه أن يغير من مقومات حياته فتزداد معارفه ، وتعمق معانيه وتلين حياته ، وتتعد مشاهداته ، ويتأثر بغيره من الأمم ، ويطلع على ثقافات أجنبية عديدة الجوانب ويتهذب عنصره الإنساني فيتغير لذلك ذوقه وقد يتغير من البساطة إلى التعقيد ، ومن الخشونة إلى الرقة ، ومن الطبع إلى الصنعة وبالجملة يصبح ذوقا حضرياً بعد أن كان بدوياً أو يترقى فى درجات الحضارة فيتشكل بما يتقرر فى عصره من أساليب متبعة ومذاهب مبتكرة وبدائع رائعة ؛ وهكذا يكون الذوق الأدبي حلقه تاريخية تصور خلاصة الجهود الثقافية والتهذيبية لعصر من عصور التاريخ الأدبي .

الجنس : هو عبارة عن نسل بشرى يتسلسل يخضع لظروف مكانية وزمانية واحدة نشئت فيه سمات وخصائص

وعادات وتقاليد بمرور الوقت صارت من خواص التكوين ومن الملامح المحددة لهذا الجنس أو ذاك واختلفت الأجناس نتيجة لاختلاف الأقاليم وما يختص به كل إقليم من خصال وسمات وما يخضع له من عادات وتقاليد تختلف من بيئة إلى أخرى وهذه الفروق قد تكون حسية وقد تكون معنوية لكنها رسخت واستمرت إما بالوراثة أو التربية .

التربية: وهي العادات والأسس والمبادئ التى استقاها الناقد فى مراحل حياته وأثرت فى سلوكه وجهده تفكيره وآراءه

فقد يتفق مجموعة من الناس فى الانتماء الطبقي والخضوع لمعتقدات ومبادئ معينة لكن نتيجة لاختلاف التربية ولتباين المنشأ الشخصي من لين وخشونة والتوجيه لاكتساب الفضائل والبعد عن الرذائل الشخصي أو إطلاع على ثقافات متباينة أو الاقتصار على ثقافة واحدة نجد السلوك اختلف من شخص إلى آخر ومن ثم يتأثر الناقد بكل ذلك ويكون نقده نتاج كل تلك العوامل أو خلاصتها الذوق أساس النقد

الذوق ذلك الكائن الغير مرئى هو المتحكم فى وجودنا وهو الذي يوجهنا الوجهات المختلفة وهو الذي ينطقنا بالصواب أو الخطأ ويجعل المتلقي أيضاً إما قابلاً أو رافضاً ما يوجه إليه .

ولقد أشغل الذوق القدامى والمحدثين كل أدلي بدلوه وكل حاول تعريفه وهو كالشيء الرخو الذي تحيط به المعرفة ولا تستوعبه أو تعيه الصفة والقول .

وإذا كان الذوق هو الموجه الأول لكل ما نقوم به من أعمال فإن وجوده فى الأدب أكثر تأثيراً وأكثر حيوية .

والأدب ... ذلك المنطوق الأثر الذي خرج من نفس متأثرة إلى نفس ينشد منها التأثر فى لفظ بديع يحوي معني جميلا اختلفوا فى أساسه .

هنا يميط الذوق اللثام عن وجوده ويعلن توجيه المتلقي بل والمبدع وجهة ما ... تحكم جزئيات العمل الأدبي وتفرض سياجاً محكماً حول عناصره من

صور وألفاظ – معاني وموسيقي إيماءات وغيرها من العناصر المكونة للعمل الأدبي .

جذور الذوق : المقصود بجذور النقد هل هو المنبع الأول الذي ظهر النقد من خلاله أم هو تربية الملكة عند

المتلقي بمعني أن نجعل الفنان – من يملك موهبة الأدب – ينشأ فى ظلال القدرة على النقد بحيث يكون حصيفاً يستطيع أن يميز الجيد من الردئ والغث من الثمين من الكلام ولكي تتكون تلك الملكة لديه يحتاج على وقت يفرغه فى مثابرة على الإطلاع ومداومة فى القراءة لأن النقد ليس شيئاً سهلاً يستجمع بالتحصيل السريع أو يتواجد داخل الإنسان من خلال انتهاج معيناً أو يلم به من خلال سؤال فجواب وإنما هو نتاج عمل دائب لمن كان يملك الموهبة النقدية .

وقد تطرق لهذا الموضوع الآمدى وعرض فى موازنته كيف تتكون ثقافة الناقد لكي يكون مؤهلاً لإصدار حكم ويكون ذلك الحكم صائباً .

وحكي إسحاق الموصلى قال : قال لي المعتصم : أخبرني عن معرفة النغم وبينها لى فقلت : إن من الأشياء أشياء تحيط بها المعرفة . ولا تؤديها الصفة .

قال : وسألني محمد الأمين عن شعرين متقاربين . وقال : اختر أحدهما فاخترت . فقال : من أين فضلت هذا على هذا وهما متقاربان ؟

فقلت : لو تفاوتا لأمكننى التبيين ، ولكنهما تقاربا وفضلت هذا بشيء تشهد به الطبيعة ولا يعبر عنه اللسان .

وقد قيل لخلف الأحمر : إنك لا تزال ترد الشيء من الشعر ، وتقول : هو ردئ ، والناس يستحسنونه .

فقال : إذا قال لك الصير فى : إن هذا الدرهم زائف فاجهد جهدك أن تنفقه فإنه لا ينفعك قول غيره : إنه جيد .

وهذا المثال ورد فى كل كتب النقد من أن الخبير فقط هو الذي يفيد السائل ويرشده للصواب، فيما يسئل وإذا طبقنا ذلك على الناقد وجدنا أنه يحتاج أن

يأخذ نفسه بالاطلاع يقول الأمدى " فمن سبيل من عرف بكثرة النظر فى الشعر والارتياض به وطول الملابسة له – أن يقضى له بالعلم بالشعر والمعرفة بأغراضه ، وأن يسلم له الحكم فيه ، ويقبل منه ما يقوله ، ويعمل على ما يمثله . ولا ينازع فى شيء من ذلك إذ كان من الواجب أن يسلم لأهل كل صناعة صناعتهم ، ولا يخاصمهم فيها ، ولا ينازعهم إلا من كان مثلهم نظيرا فى الخبرة وطول الدربة والملابسة .

وأنه ليس فى وسع كل أحد منهم أن يجعلك أيها السائل المتعنت أو المسترشد المتعلم فى العلم بصناعته كنفسه ، ولا يجد إلى قذف ذلك فى نفسك ولا فى نفس ولده أو من هو أخص الناس به سبيلا ، ولا أن يأتيك بعلة قاطعة ، ولا حجة باهرة ، وإن كان ما اعترضت به اعتراضا صحيحاً ، وما سألت عنه سؤالا مستقيماً لأن ما لا يدرك إلا على طول الزمان ومرور الأيام ، لا يجوز أن يحيط محيط به فى ساعة من نهار .

ثم إن العلم بالذي لا يعلم فى أكثر أحواله إلا بالرؤية والمشافهة لا يعرف حق المعرفة بالقول والصفة ، وقد قيل : ليس الخبر كالمعاينة . وعلة ذلك بينة واضحة ، ومعلومة ظاهرة وهي : أنه لا يمكنه أن يشاهد بك جميع المعلومات التى اختبرها وعلم علمه منها بملابستها فى السنين الطويلة . فمن المحال أن يقدر على أن يصور لك عشرة آلاف فرس ، أو أن يصف لك عشرة آلاف جارية أو عشرة آلاف سيف مختلفات الأجناس والجواهر والأوصاف ، فيجعلك مشاهداً لذلك كله فى لحظة واحدة ووقت واحد ، ومخبراً لك بكل علة وكل حجة وكل نعت وصفة فى كل نوع من ذلك وكل جنس فى تلك الساعة وهو إنما علم ذلك على مرور الأيام وطول الزمان ، وهذا محال لا يمكن ولا يسوغ ولا يقدر عليه أحد إلا خالق وبارئ البشر .

وبعد : فلم لا تصدق نفسك أيها المدعي ، وتعرفنا من أين طرأ عليك العلـــم بالشعر ؟ أمن أجل أن عندك خزانة كتب تشتمل على عدة من دواويـــن

الشعراء ؟ وأنك ربما قلبت ذلك وتصفحته أو حفظت القصيدة والخمسين منه ؟

فإذا كان ذلك هو الذي قوى ظنك ومكن ثقتك بمعرفتك فلم لا تدعي المعرفة بثياب بدنك ورح بيتك ونفقتك ؟ فإنك دائماً تستعمل ذلك وتستمتع به ولا تخلو من ملابسته كما تخلو فى كثير من الأوقات من ملابسة الشعر ودراسته ، حتى إذا رمت تصريف دينار بدراهم أو تصريف دراهم بدنانير أو ابتياع ثوب أو شيء من الآلة – لم تثق بفهمك ولا علمك حتى ترجع على من يعرف ذلك دونك فتستعين به على حاجتك ، ولم لما خفت الغبينة فى مالك فأذعنت وسلمت وأقررت بقلة المعرفة – لم تخش الغبينة والوكس فى عقلك فتسلم العلم بالشعر إلى أهله ؟ فإن الضرر فى غبن العقل أعظم من الضرر فى غبن المال .

فإن قلت : وما العلم بالخيل والبز والرقيق والذهب والفضة التى لم يطبع الإنسان على المعرفة بها والعلم بجيدها ورديئها كما طبع على الكلام فكان كل أحد يكون متكلماً ، وليس كل أحد صيرفيا ولا بزازا ولا نخاساً ؟

قيل : ولا كل أحد يكون شاعراً ولا خطيباً ولا فى منطقه بارعاً ولا بليغاً ولو كان ذلك كذلك لما رأيت أحداً يتكلم فيستحسن كلامه ويستعاد وآخر يتكلم فيضحك منه . فالإنسان المتكلم يعلم معاني ألفاظ لغته ولا يعلم جيدها من رديئها ومتخيرها من مرذولها . كما أنه يعلم أيضاً أنواع الثياب والجواهر والخيل والرقيق ويميز بين أجناسها . ولا يعلم جيد كل جنس من ردئيه وأرفعه من أدونه . فكما أن المعرفة بكل جنس من هذه صناعة . فكذلك المعرفة بأجناس الكلام من الشعر والخطابة صناعة . فإذا رجعت فى المعرفة بتلك إلى أهلها فارجع أيضاً فى المعرفة بهذه إلى أهلها .

وهكذا أوضح الأمدى أن الزمن هو المعول الإنسان فى تكـــوين ثقافتـــه الناقد وذلك لأن قر الليالى ومر العشى يجعل الناقد مطلعاً على ما وجد من أفانين الكلام والجمال وما استودع فى قلب الكتب ... ثم يعيها الناقد ويطلع عليهـــا ... لذا وضعت شروط للناقد ليكون ثقافة من شروط ثقافة الناقد (الناقد الحق يجـــب

أن يكون ذهنه متنبهاً ومرناً جاد النظرة ، سريع الاستجابة لكل التأثيرات قـوى الفهم للأساسيات وفوق ذلك يجب أن يكون كما - يقول ماتيو أرنولـد - قـادراً على أن يرى الشيء كما هو فى الحقيقة ، وألا يزيغ فى ضـباب مـن ميولـه الخاصة وأفكاره السابقة ومعني ذلك أنه يجب أن يكون خالياً تماماً ومتجرداً عن كل ميل من أي نوع ... ميل الأذواق الفرديين وميـل الثقافـة وميـل العقيـدة والطائفة والحزب والطبقة والأمة) [١] .

وأرى أن التشدد فى تطبيق تلك الآراء متعذر جداً لأننا لا نستطيع أن نفصل الإنسان بشكل عام عما يعتنقه من مبادئه وما يؤمن به من أفكار وما يوجهه من مواقف عامه أو خاصة إزاء ما حوله سواء أكان ذلك حركة أدبية خاصة أم حركة حياتيه عامة فلابد أن يظهر فى ثنايا قبوله أو رفضه لهذه الحركة أو تلك موقفه الشخصي واقتناعه الشخصي واقتناعه الذاتي بل إن ذلك سيؤثر على توجيه رأيه وتوجهه .

والآمدى يعلى من شأن العلم وتجميع العلوم والمعارف ويرى أنها ضرورة لابد أن تتوافر للناقد ... فيقول [٢] وبعد : فإنى أدلك على ما ينتهي بك إلى البصيرة والعلم بأمر نفسك فى معرفتك بهذه الصناعة أو الجهل بها وهو أن تنظر ما أجمع عليه الأئمة فى علم الشعر من تفضيل بعض الشعراء على بعض ، فإن عرفت علة ذلك فقد علمت وإن لم تعرفها فقد جهلت ، وذلك أن تتأمل شعر أوس بن حجر والنابغة الجعدى، فتنظر من أين فضلوا أوساً وتنظر فى شعرى بشر بن أبي خازم وتميم بن أبى مقبل ، فتنظر من أين فضلوا بشرا .

وأخبرنى بعض الشيوخ عن أبي العباس ثعلب عن ابن الأعرابى عن المفضل : أن سائلا سأله عن الراعى وذى الرمة أيهما أشعر ؟ فصاح عليه

---

(١) النقد الأدبي أحمد أمين صـــ ١٩٤ .

(٢) الموازنة بين شعر أبى تمام والبحترى للآمدى ت السيد أحمد صقر دار المعارف

صيحة منكرة : أى لا يقاس ذو الرمة بالراعى ، وكذلك غير المفضل لا يقيسه به ولا يقارب بينهما .

فتأمل أيضاً شعرى هذين فانظر من أين وقع تفضيل الراعى أو غير هؤلاء من شاعرين أجمع على تفضيل أحدهما على الآخر فينظر من أين وقع التفضيل

فهذا الباب أقرب الأشياء لك إلى أن تعلم حالك فى العلم بالشعر ونقده .

فإن علمت من ذلك ما علموه ولاحت لك الطريق التى بها قدموا من قدموه وأخروا من أخروه فثق حينئذ بنفسك واحكم يسمع حكمك .

وإن لم ينته بك التأمل إلى علم ذلك فاعلم أنك بمعزل عن الصناعة .

ثم إن كنت شاعراً فلا تظهرن شعرك ، واكتمه كما تكتم سرك .

فإن قلت : إنه قد انتهي بك التأمل إلى علم ما علموه – لم يقبل ذلك منك حتى تذكر العلل والأسباب ، فإن لم تقدر على تلخيص العبارة عن ذلك ، فحتى تعلم شواهده من فهمك ودلائله من اختياراتك وتمييزك بين الجيد والردئ .

ثم إنى أقول بعد ذلك : لعلك – أكرمك الله – اغتررت بأن شارفت شيئاً من تقسيمات المنطق أو جملاً من الكلام والجدل ، أو علمت أبواباً من الحلال والحرام أو حفظت صدراً من اللغة أو اطلعت على بعض مقاييس العربية . وأنك لما أخذت بطرف نوع من هذه الأنواع بمعاناة ومزاولة ومتصل عناية فتوجهت فيه ومهرت – ظننت أن كل ما لم تلابسه من العلوم ولم تزاوله يجرى ذلك المجرى . وأنك متى تعرضت له وأمررت قريحتك عليه نفذت فيه . وكشفت لك عن معانيه . هيهات لقد ظننت باطلاً ورمت عسيراً لأن العلم – من أي نوع كان – لا يدركه طالبه إلا بالانقطاع إليه ، والإكباب عليه ، والجد فيه والحرص على معرفة أسراره وغوامضه .

ثم قد يتأتى جنس من العلوم لطالبه ويتسهل ، ويمتنع عليه جنس آخر ويتعذر : لأن كل امرئ إنما ييسر له ما فى طينته قبوله ، وما فى طباعه تعلمه .

فينبغي – أصلحك الله – أن تقف حيث وقف بك وتقنع بما قسم لك ، ولا تتعدى إلى ما ليس من شأنك ولا من صناعتك " .

وبذلك نري أن الأمدى يرجع امتلاك ملكة النقد إلى الفطرة لدي الإنسان ويدعمه الإنسان بمختلف مطالعاته فإذا ما اكتمل له الاثنان استطاع أن يكون ناقداً والملاحظ أن كلام الأمدى كان ادبان الدمج ... دمج النقد وسط علوم العربية فلم يكن صار علماً منفصلاً عن غيره من العلوم بعد .

فالشخص الذي يستطيع الحكم على الأعمال الشعرية إذ شخص محدد قال عنه بن سلام الجمحي فى كتابه .... طبقات فحول الشعراء " أن للشعر صناعه وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم والصناعات ... منها ما يثقفه العين ... ومنها ما يثقفه الأذن ومنها ما يثقفه اليد ومنها ما يثقفه اللسان .. فكذلك الشعر يعلمه أهل العلم به [١] .

و صناعة الشعر كانت شائعة وهو تعبير يعادل نقد الشعر – لأنه يقوم بمقامه ويؤدي مهامه ولكن كان شائعاً فى الكتب القديمة ومن الكتب التى وصلتنا مما يحمل فى عنوانه كلمة (الصناعة) كتاب الصناعتين لأبى هلال العسكرى (ت ٣٩٥) [٢] وهناك كتب أخرى كثيرة تحمل عنوان (صناعة الشعر) وردت الإشارة إليها فى المصادر القديمة [٣] .

---

(١) طبقات فحول الشعراء محمود محمد شاكر .

(٢) كتاب الصناعتين : الكتابة والشعر ، طبع بتحقيق على محمد البجاوى ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، عيسى البابي الحلبى وشركاه ، الطبعة الثانية ١٩٧١ .

(٣) على سبيل المثال تذكر المصادر (صناعة الشعر) لأبى هفان المهزمى (ت ١٩٥) و (صناعة الشعر) لأبى البلخى (ت ٣٢٢) و (صناعة الشعر) للحسين بن محمد الرافعى ، المعروف بالخالع ، ت بعد ٣٨٠ و (صناعة الشعر) لأبى العلاء محمد بن غانم الغانمى (ت ٤٦٨) ويتهم القاضي للجرجانى بعض عائبى المتنبي بأنهم ممن لا بصر لهم بـ (صناعة الشعر) : الوساطة ٤٣٤

والمهم أن تيار التأليف فى النقد قد استمر ، وساعد على إذكائه ظهور عدد من الشعراء لفتوا إليهم الأنظار لأسباب متباينة ومن هؤلاء بشار وأبو نواس ومسلم وأبو تمام والبحترى والمتنبى ، وغيرهم ، وكانت النتيجة مجموعة من الكتب والرسائل فى نقد أشعارهم [١] .

والموازنة بينهم [٢] بل لقدألف كتاب فى (الوساطة) بين المدافعين عن

---

[١] من هذه الآثار رسالة ألفها ابن المعتز (فى محاسن شعر أبي تمام ومساوية) راجع ص ٤٧٠ وما بعدها من (الموشح) طبعة دار نهضة مصر ١٩٦٥ وتحتوى كتب مثل (طبقات فحول الشعراء) لابن سلام و (الشعر واشعراء) لابن قتيبه ، و (الكامل) للمبرد ، و (طبقات الشعراء المحدثين) و (البديع) لابن المعتز ، و (الأغانى) لأبى الفرج الأصفهانى (ت ٣٥٦) ، و (الموشح) للمرزبانى (ت ٣٨٤) و (قراضة الذهب) لابن رشيق ، و (رسائل الانتقاد) لابن شرف القيروانى (ت ٤٦٠) و (الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة) لابن بسلم الشنترينى (ت ٥٤٢) تحتوى على مادة نقدية طيبة عن الشعراء حتى عصر كل مؤلف ومن الكتب المختصة بشعراء معينين : (أخبار أبى نواس) لأبى هفان المهزمى (ت ١٩٥) و (أخبار أبي نواس) لابن منظور (٦٣٠ - ٧١١) ، و (أخبار أبى تمام) ، و (أخبار البحترى) للصولى (ت ٣٣٥) ويعزى إلى أبى العباس النامى (ق ٤) (رسالة فى الكشف عن عيوب المتنبى) وألف الصاحب بن عباد (ت ٣٨٥) (الكشف عن مساوئ المتنبى) وللحاتمى - محمد بن الحسن (ت ٣٨٨) (الرسالة الموضحة فى ذكر سرقات المتنبى وساقط شعره) ولأبى القاسم الأصفهانى (ق ٤ ، ٥) (الواضح فى مشكلات شعر المتنبى) وتعد شروح دواوين الشعراء مصادر للمادة النقدية حولهم.

[٢] يعد كتاب (الموازنة بين شعر أبى تمام والبحترى) للآمدى (ت ٣٧٠) أشهر كتاب فى الموازنة بين شاعرين ، ومع ذلك فإن عملية الموازنة بين الشعراء لم تنقطع ، وفى (الموشح) خبر عن (رسالة فى الموازنة بي العباس بن الأحنف والعتابى) من تأليف يحي بن على المنجم (ت ٣٠٠) الموشح ٤٤٩ ويشير الخاتمى فى (الحلية) إلى مناظرة بينه وبين رجل آخر فى أبى تمام والبحترى وهناك خبر عن مناظرة بين بشار وأبى نواس . أخبار أبى تمام ١٤٢ .

المتنبى والمهاجمين له [١] .

ثقافة الناقد الأدبي وعدته : لابد للناقد بعد امتلاك الموهبه من أخذ نفسه بالإطلاع والحفظ والتحصيل والتأمل والوعي قادراً الموازنة الدقيقة والفهم الصحيح كل ذلك يثقل موهبته وينير ذهنه يجعله قادراً على إصدار الحكم الصحيح على العمل الأدبي ولاسيما أن قد يضع نفسه موضع الأديب المبدع ... ليعرف مدي معاناة الأديب وإلى أي درجة أجاد أو أخفق .

وثقافة الناقد لابد أن تكون ملمة بتاريخ الأدب ومراحله وأطواره ليربط بينها وبين النص والحكم الذي يصدره عن الكاتب أو الشاعر ،ويتصل بذلك كذلك الوقوف على حياة الأديب نفسه ، والملابسات التى لها فاعلية بارزة فيه ، لأن لذلك وزنا فى نتاجه الأدبى وصدقه فيه أو كذبه ، ومن هذه الناحية يستطيع أن يعلل تشاؤم ابن الرومى والمعرى ومجون أبى نواس ، وحكمة المتنبى وهكذا

وكلما كان الناقد أديباً ضارباً فى الأدب بسهام متعددة كلما ساعده ذلك على فهم النص بإقتدار أكثر واستطاع أن ينقده ويعبر عنه بقدرة فذة يقول د / طه أبو كريشه [٢] (والأدباء هم أقدر الناس على التخصص فى صناعة النقد والمهارة فيها ، لأن حسهم الذكي ، وذهنهم النفاذ ، يعينهم على إدراك أسرار الكلام دون معاناة فى استخراجها . وفى هذا يقول الجاحظ : " طلبت علم الشعر عند الأصمعى فوجدته لا يعرف إلا غريبه ، فرجعت إلى الأخفش فألفيته لا يتقن إلا أعرابه ، فعطفت على أبي عبيد فرأيته لا ينقد إلا ما يتصل بالأخبار ، وتعلق بالأيام والأنساب ، فلم أسفر بما أردت إلا عند أدباء الكتاب كالحسن ابن وهب ومحمد بن عبد الملك الزيات " وسئل البحتري أيهما أشعر مسلم ابن الوليد أو أبو

---

[١] هو كتاب (الوساطة بين المتنبى وخصومة) للقاضي على بن عبد العزيز الجرجانى (ت٣٩٢) .

[٢] فى أصول النقد الأدبي صـ ٦٥ .

نواس ؟ فقال : بل أبو نواس فأنكر سائله عليه هذا محتجاً بأن العالم اللغوى ثعلباً لا يوافقه على هذا الحكم فقال له ليس هذا من علم ثعلب وأضرابه وإنما يعرف الشعر من دفع إلى مضايقه " (١).

والنقاد يرون أن الناقد كقيم السلع لابد أن يخالطها ويتبصر بها ويحيط بها علماً ومعرفة لكي يستطيع أن يصدر حكماً .

وعلى كل حال فقد أجمعوا على أنه لابد للناقد :

أولاً : أن يكون محيطا احاطة تامة بالمعلوم اللسانية من النحو والصرف والعروض والبلاغة حتى لا يتورط فى الخطأ أو يتردى فى الضلال أو يجافى الصواب ويجانب الحق ، ويخونه ذوقه الذي لا تحده حدود ولا سدود .

ثانياً : أن يكون له المام واسع ، واطلاع كبير وصلة وثيقة بمعاجم اللغة ليعرف دلالة الألفاظ على المعاني بالحقيقة أو المجاز وحوشيتها وكثرة استعمالها فإن لذلك كله أثرا فى الاستعمال والتقدير والاحترام .

ثالثاً : أن تكون له صلة بكتب النقد كالموازنة بين الطائيين للآمدى والوساطة بين المتنبي وخصومة للجرجانى والموشح للمرزبانى وعيار الشعر لابن باطبا ونقد الشعر لقدامه بن جعفر وطبقات الشعراء لابن سلام والصناعتين لأبى هلال العسكرى والعمدة لابن رشيق القيروانى على أن هذه الكتب وحدها قد لا تكون زادا نافعا فإن كتب الأدب كالكامل للمبرد والأمالى لأبى على القالى ، والعقد الفريد لابن عبد ربه والبيان والتبين للجاحظ وصبح الأعشى للقلقشندى ونفح الطيب للمقرى وزهر الآداب للحصرى والأغانى للأصفهانى وغيرها مبثوث فيها قضايا نقدية وشواهد لا يظفر بها أحد فى

---

(١) جمهرة أشعار العرب أبو زيد القرشى صـ ١٥ - مقدمه ابن خلدون صـ ٥٧٤ - نقلاً عن كتاب أصول النقد الأدبي صـ ٦٦ .

هذه الكتب وذلك كله غير كاف ما لم يضف إليه الناقد ما نقله المترجمـــون عن النقد الغربي المعاصر وبخاصة ما كان منه متعلقا بعلم الجمال وعلـــم النفس فإنهما آثارا قضايا ذات أهمية على حد بعيد فى النقد الأدبي .

رابعاً :أن يكون له إلمام بكل ما تجود به أفكار المعاصرين فى مؤلفاتهم عن النقد الأدبي – شعرا أو نثرا – فإن هذه ثروة ينفق منها عند الحاجة ، أو يستعين بها عند الضرورة ، ويحتكم إليها إذا اشتبهت عليه المعالم وهي إلى جانب ذلك كله صاحبة الفضل الأول والأخير فى تربية الملكة وإرهاف الحس ونضوج الذوق وتنمية الشعور بالجمال الذي يكون له السلطان فى الحكم على النص وتحليله وتعليله .

خامساً : ألا تكون نظرته للنص من زوايا تجاريه ووجدانه الخاص إذ أنه حينئذ يكون مرضيا لميوله أو مرويا لظمئه أو أحاسيسه الدفينة ، كالشارب الذي يقرأ خمريات أبي نواس ، أو العاشق الذي يقرأ شعر عباس ابن الأحنف أو الزاهد الذي يتصفح ديوان أبي العتاهية لأن هذا اللون من النقد تدخله العصبية للميول والأهواء ، وهو نقد لا يخدم الانصاف ولا ينصر الحق .

الناقد الأديب

إذا كان الأدب والنقد صنوان فهل يعني ذلك أن كل ناقد أديب وكل أديب ناقد ... ؟ أرى أن هذه القضية المنطقية تحتاج إلى تفنيد وشرح ... فالناقد ذو الذوق المدرب والموهبه المصقولة لا يشترط أن يكون أديباً فقد يكون قادراً على تذوق المنتج الأدبي وفهمه والتخلل فى عناصره ... ولكنه غير قادر على إصدار قطعة أدبية فهو فى تحليله للعمل الأدبي ونشر جزئياته وعناصره وشرحها ذو موهبة واقتدار لكنه لا ينشيء أدباً من عدم " فقد يقول الشعر من ليس له المعرفة بنقده ، وقد يميزه من لا يقوله ، وقد قيل لابن المقفع ... لما لا تقول الشعر مع علمك به ؟ فقال أنا كالمسن أشحذ ولا أقطع " وإنما معناه أن ملكة النقد تكمل لو

أن لصاحبها إنتاجاً أدبياً ، فإذا كان الناقد ذا ذوق مطبوع مثقف ، ثم كان منتجاً للأدب كان أصح بصراً وأقوم حكماً وأصدق نظراً " [١]

وقد يكونوا هناك أديب فذ لكنه لا يركن إلى النقد سواء أكان نقد أعماله أو أعمال غيره فصناعته الأدب الإنشائي لا إعادة النظر فى الآداب المختلفة .

ولابد للناقد أن يقوم بمهمته على أكمل وجه وهو ينقد كتاب ما " فإن المهمة لازالت كبيرة شاقة إذ لا مندوحة لمن يتصدى لهذا العرض من التغلغل خلال الكتاب لإبراز صفاته الأساسية من الجمال والقوة وأن يميز بين ما هو وقتي فيه وبين ما هو خالد مستمر وأن يحلل معناه ويحدده وأن يوضح المبادئ الفنية والخلقية والأدبية التى آثارت المؤلف وأثرت فيه وأن يبين العلاقات المتبادلة بين أجزاء الكتاب وعلاقة كل جزء بالمجموع وأن يجمع عناصر هذا المجموع ويصنفها ويشرحها " [٢]

والنقاد القدامي كذلك حاولوا وضع أسس ومعايير يسير عليها المشتغلون بصناعة الشعر لكى تحدد الخطي وتوضح المنهج زعموا أن صناعة الشعر وغيرها من سائر الصناعات لا تجود وتستحكم إلا بأربعة أشياء وهي : جودة الآلة وإصابة الغرض المقصود ، وصحة التأليف والانتهاء إلى تمام الصنعه من غير نقص فيها ولا زيادة عليها .

وهذه الخلال الأربع ليست فى الصناعات وحدها ، بل هي فى جميع الحيوان والنبات .

ذكرت الأوائل أن كل محدث مصنوع يحتاج إلى أربعة أشياء : علة هيولانية وهي الأصل وعلة صورية ، وعلة فاعلة ، وعلة تمامية .

---

(١) أصول النقد الأدبي د / طه مصطفى أبو كريشة صـ ٦٦ الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان طبعة ١٩٩٦ .

(٢) مقالات فى التربية واللغة والبلاغة والنقد عبده قلقيله صـ ٣٣٣ مكتبة الأنجلو المصرية جـ ١ .

فأما الهيولانية فإنهم يعنون : الطينة التى يبتدعها البارى جل جلاله ويخترعها يصور ما شاء تصويره منها ، من رجل أو فرس أو جمل أو غيرها من الحيوان أو برة أو كرمة أو نخلة أو سدرة أو غيرها من سائر أنواع النبات .

والعلة الصورية : هي المعني الذي يقصد البارى - جل جلاله - تصويره من رجل .

والعلة التمامية هي : أن يتمها تبارك اسمه ويفرغ من تصويرها من غير انتقاص منها .

وكذلك الصانع المخلوق فى مصنوعاته التى علمه الله عز وجل إياهـــا : لا تستقيم له وتجود إلا بهذه الأشياء الأربعة وهي :

آلة يستجيدها : ويتخيرها مثل خشب النجار وفضة الصائغ وآجر البناء وألفاظ الشاعر والخطيب ، وهذه هى العلة الهيولانية التى قدموا ذكرها وجعلوها الأصل .

ثم إصابة الغرض فيما يقصد الصانع صنعته ، وهي العلة الصورية التى ذكروها .

ثم صحة التأليف حتى لا يقع فيه خلل ولا اضطراب ، وهل العلة الفاعلة .

ثم أن ينتهي الصانع إلى تمام صنعته من غير نقص منها ولا زيادة عليها وهي العلة التمامية .

فهذا القول جامع لكل الصناعات (و) المخلوقات .

فإن اتفق الآن لكل صانع بعد هذه الدعائم الأربع أن يحدث فى صنعته معني لطيفاً مستغرباً ، كما قلا فى الشعر من حيث لا يخرج عن الغرض . فذلك زائد فى حسن صنعته وجودتها . وإلا فالصنعة قائمة بنفسها مستغنية عما سواها

وقد ذكر بزرجمهر فضائل الكلام ورذائله ، وبعض ذلك داخل فى الشعر فقال : إن فضائل الكلام خمس إن نقصت منها فضيلة واحدة سقط فضل سائرها

. وهي : أن يكون الكلام صدقاً ، وأن يوقع موقع الانتفاع به . وأن يتكلم به فى حينه وأن يحسن تأليفه . وأن يستعمل منه مقدار الحاجة .

قال : ورذائله بالضد من ذلك فإنه إن كان صدقاً ولم يوقع موقع الانتفاع به بطل فضل الصدق منه .

وإن كان صدقاً وأوقع موقع الانتفاع به ولم يتكلم به فى حينه – لم يغنه الصدق ولم ينتفع به .

وإن كان صدقاً وأوقع موقع الانتفاع به وتكلم به فى حينه ولم يحسن تأليفه – لم يستقر فى قلب مستمعه ، وبطل فضل الخلال الثلاث منه .

وإن كان صدقاً وأوقع موقع الانتفاع به وتكلم به فى حينه وأحسن تأليفه ثم استعمال منه فوق الحاجة – خرج إلى الهذر أو نقص عن التمام – صار مبتوراً وسقط منه فضل الخلال كلها .

وهذا إنما أراد به بزرجمهر الكلام المنثور الذي يخاطب به الملوك ويقدمه المتكلم أمام حاجته ، والشاعر لا يطالب بأن يكون قوله صدقاً ، ولا أن يوقعه موقع الانتفاع به ، لأنه قد يقصد إلى أن يوقعه موقع الضرر ، ولا أن يجعل له وقتاً دون وقت ، وبقيت الخلتان الأخريان وهما واجبتان فى شعر كل شاعر وذلك : أن يحسن تأليفه ولا يزيد فيه شيئاً على قدر حاجته .

فصحة التأليف فى الشعر وفى كل صناعة هي أقوى دعائمه بعد صحة المعني ، فكل من كان أصح تأليفاً كان أقوم بتلك الصناعة ممن اضطرب تأليفه .

وقد قيل إن أهل الصنعة أدرى بما يحسن وما يقبح ما يجود و يردئ سواء أكان ذلك فى حرفة الأدب أو غيرها من الحرف التى تتطلب مدارسه وإطلاع ثم إن العلم بالشعر قد خص بأن يدعيه كل أحد وأن يتعاطاه من ليس من أهله فلم لا يدعى أحد هؤلاء المعرفة بالعين والورق والخيل والسلاح والرقيق والبز والطيب وأنواعه . ولعله قد لابس من أمر الخيل وركوبها والسلاح والعلم به والرقيق واقتنائه أو الثياب ولبسها أو الطيب واستعماله أكثر مما عاناه من أمر

الشعر وروايته فلا يتهم نفسه فى المعرفة بالشعر تهمته إياها بالمعرفة ببعض هذه الأشياء مما عاناه وزاوله . وما باله - وقد ركب الخيل كثيراً - لما راقه من الفرس ملاحة سبيبه . واستدارة كفله . وبريق شعره ، وحسن إشرافه وجودة حضره - توقف عن ابتياعه حتى يشاور من يخبر أمره فى جنسه وعتقه وموضع نتاجه وصحة قوائمه وسلامة أعضائه وبراءته من العيوب الظاهرة والباطنة [١] .

اللغة والـذوق :

يفتح الأديب دروب المعرفة الإنسانية محاولاً فـتح مغاليقهـا وتفسـير مكنوناتها وحل مشكلاتها سلاحه الحاسه الأدبية التى تنير له الطريـق وقدراتـه الخلاقة التى تشكل له هيكل العمل ونظامه ، ولغته التـى ينقـل بهـا تعبيراتـه وإحساساته فإذا وصلت هذه الأحاسيس والتعبيرات إلى الناس كان نجاحها لديهم بقدر ما أحس فكان صدق الإحساس وبقدر ما عبر فكان صـدق التعبيـر " وإذا جمع الأديب إلى أدبه علم العالم كان للحقائق معني جديـد وللأسـلوب العلمـي طريق جديد وانتقلت الحقائق سهلة ميسورة هينة لينة إلى القارئ المثقف وإلـى المواطن العادي فأحدثت أثرين وحققت هدفين أما الأول فهو الحقيقة فى دقتها وعلميتها وأما الثاني فهو الأدب فى رقته وجماله " [٢] واللغة قد تطورت وتطور المفهوم الدلالى للكلمات وأقيمت علاقات جديدة بين المفـردات والجمـل يقـول دكتور / مصطفى ناصف [٣] " لقد بشر بعض الناس بعلاقات بين ألفاظ اضمحلت وتلاشت بسحر ساحر ورضوا بتناثر المفردات " .

---

(١) النقد العربي د / عبد الحكيم راضي و د / عبد المنعم تليمه دار الثقافة للنشر والتوزيـع ١٩٨٥ د / عبد المنعم تليمه صـ ٣٥٣ .

(٢) مقالات فى التربية واللغة والبلاغة والنقد دكتور/ عبده عبد العزيز قلقيله ج ١ .

(٣) الوجه الغائب د / مصطفى ناصف صـ ٢٠٣ الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٦ .

اللغة العربية لغة حية تأثرت بمتغيرات متعددة واكتسبت معالم جديدة وطمست معاني لم تعد مستعملة " انتفع الأدب عندنا منذ مطلع القرن وربما من قبله بثورة ملحة تدعو إلى التخلص من الإطناب والاسترسال ومحسنات الصنعة والزخرفة من سجع وجناس ومطابقة فهذه الثورة لم يظهر لها أقل أثر على التلحين إلا بعد فترة تقرب من نصف قرن ضاعت عليه هباء فقد بقيت أغانينا – وحين نقول أغانينا فنحن نعني مع الأسف موسيقانا غارقة فى الإطناب والاسترسال والسجع الذهني " [١] .

وإذا كانت اللغات المختلفة قد تقف صماء أمام بعض المعاني والمستجدات والمتطلبات العصرية فإن لفصحانا خاصية تفردت بها وهي إنها لغة القرآن فإلى جانب أنها تستطيع أن تستوعب كل جديد فهي لغة مكتوب لها البقاء والخلود والديمومة فلابد أن تتطور مع التطور العصري .... يقول دكتور / محمد غنيمي هلال " لابد للفصحي أن تتخطى هذه العقبات وأن تتحرر من تلك العوائق وأن تواجه مشكلاتها بعد ذلك على أساس من التزود العلمي الصحيح حتى تتدارك ما رزحت تحته من عبء التخلف وتنطلق إلى أداء رسالتها فى مختلف المجالات شأن اللغات الحية الكبرى وهي جديرة بهذه المكان التى تتطلع إليها " [٢]

أن العملية الذوقية شديدة الخصوصية فالذوق القدح المعلي فى الحكم على النص وهو الذي يحكم العملية النقدية ويضع أساسها ويتبع مراحل الإبداع عند المبدع وتطوره " صحيح أن التذوق النصي قد لا يعطي براءة التفوق لنص ما لأنه حقق غاية نفعية ، ولا يمنح القصيدة براءة التفوق الجمالي لأنها تحدثت عن كذا أو استهدفت تحقيق كذا أو نهضت بعبء هذه الرسالة أو تلك ولكنه يعطي القصيدة أو اللوحة أو اللحن براءة التفوق الجمالي ، لأنه صار ذاته ، لأنه

---

[١] خطوات فى النقد يحي حقي صـ ٢٠٧ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦ .

[٢] قضايا معاصرة فى الأدب والنقد د / محمد غنيمى هلال صـ ١٧٨ دار نهضة مصر للطباعة والنشر .

حقق وجوده الجمالي واخترق بهذا الوجود حـاجز الزمـان والمكـان والنـوع والباعث والمبدع وصار إقليما جمالياً بذاته ، هذا صحيح ، ولكن أصح منـه أن مثل هذا النص على تفرده وإيغاله فى أدبيته يحمل صوت مبدعه ومرحلته وتقاليد نوعه بنسب تتفاوت جذرية وتسطيحا ، تماماً كما تتفاوت تجليات الخبرة الجمالية ذاتها ومع ذلك لا يطعن هذا التفاوت فى تصميماتها النصية لأن القيمة المطلقـة فى التجليات المتغيرة تؤكد نقيض هذه الفرضية ، أي أنها تؤكد على أن التـذوق النصي يخترق حاجز التجليات المتغيرة إلى الرسوخ المطلق الثابت " [١].

وبذلك نجد دكتور العزب يتفق مع مذهب الفن للفن فلا نطالـب الفنـان المبدع بتأدية رسالة أو حمل راية أو الترويج لفكرة ... ولكننا نطالبه أن يؤدي ما آمن به كيفما اتفق بحيث يظهر شدة قناعته واقتناعه بموضوعه وإجادتـه فـى التعبير عنه وأداة ذلك هي اللغة لذا تميزت اللغة فى النظرة الذوقية عن غيرهـا فاللغة شديدة الخصوصية فى العمل الأدبي والنظر الذوقي " ربما يبدأ التذوق من بداهة التفرقة بين اللغة كخطاب يومي نفعى مباشر واللغة كخطاب إبداعي جمالي معادل أو رامز أو متجاوز وهنا تبرز مسألة تفرس العلاقات والصور وما يحمله ذلك من عاطفة خيال وفكر إلى آخر هذه المتوالية " [٢].

فالاستخدام اللغوى يختلف من أديب إلى آخر لذا النظرة الذوقيـة تفيـد النص وتميط اللثام عن مواطن الإبداع والإجادة وبذلك التذوق يعنـي " تأهيـل النص لتجاوز محدوديته ورفض القوالب المذهبية ربما ليعيد امتلاكها على نحـو يتسم بالخصوصية والقراءة – على حد قول د / محمد أحمد العزب .

اللغة لها أساس كبير حيث فيها تتجسد المشاعر والأحاسيس وبها يظهر اقتدار الشاعر وثقافته وتمكنه من أداته واللغة تختلف من عصـر إلـى عصـر وتحمل فى كل عصر شحنات شعورية مختلفة عن العصر السـابق (فـالعرب

---

(١) فى النص وقراءة النص د / محمد العزب صـ ٣٨ ، ٣٩ .

(٢) المرجع السابق صـ ٤٦ .

الأقحاح أو عرب البادية هم الذين تؤخذ عنهم اللغة فعندهم كملت خصائصها حتى نزلت بها معجزة القرآن ولكن العرب خرجوا من جزيرتهم وسكنوا الأمصار فى شتى أقطار العالم الإسلامي واختلطوا بغيرهم من الشعوب وأصبحوا مولدين وأصبحت لغتهم مولده أيضاً لأنها فقدت الكثير من خصائصها وخالطتها شوائب من لغات تلك الشعوب وفى ظل ارستقراطية النسب التى اخترمها المجتمع الإسلامي كان من الطبيعي أن ينظر إلى لغة المولدين مهما بلغت منزلتهم فى المجتمعات الحضارية الجديدة على أنها أدني من لغة الأعراب لهذا سمعنا الآمدى يثني على البحترى لأنه " أعرابي الشعر " ويردف ذلك بأنه " مطبوع " ومحصلتهما " أنه على مذهب الأوائل ") [1] ولكن مع التطور الزمني والحدثى تطورت أيضاً اللغة .

---

(١) المذاهب الأدبية والنقدية عند العرب والغربيين د / شكرى محمد عياد صـ ٢٠٧ – عالم المعرفة ع ١٧٧ مطابع السياسة الكويت .

الخاتمـــــــــة

الذوق ذلك المرئى الخفى الذي نلمس وجوده ولا نكاد نـــراه ولأهميتـــه أفاض فيه القدامى والمحدثون كل يدلى بدلوه ويحاول تعريفه ووضع حد له مبيناً أنه إن كان الشق الأهم فيه فترة وسليقة لكنه لابد أن يثقل بالدربة ويسير صاحب الذوق الموهوب فى دروب الأدب وأفانين النقد يجنى الثمار ويحيط علمـــاً بمـــا وضعه القدامى ويتابع ما جنى المحدثون حتى إذا ما لمس فـــى نفســـه القـــدرة والكفاءة على التصدى للعملية النقدية كان يمتلك الأداة مستطيع الوفاء بمتطلبـــات العملية النقدية .

وقد تحدثت عن تعريفه ولم أرد كل التعريفات واقتصرت علـــى بعـــض المحدثين والقدامى وأوضحت أن للذوق أقساما فسليم قادر على التصدى للعمليـــة النقدية ، فاسد صاحبه عييٌ لا يستطيع إصدار الحكم وإن أصدره لا يعول عليـــه وسلبى وإيجابى وهو من استحسن العمل دون تعليل الأسباب أو علل سبب حكمه وبرره .

وقد اختلفت الآراء لاختلاف الأذواق وهذا الاختلاف أثرى العملية النقدية وأفادها ... وأوضحت أن الذوق الناقد هو الذوق المدرب الفاهم الواعى الذي ينم عن ثقافة صاحبه وقدرته وأنه يتأثر بالمزاج الشخصى للناقـــد وبيئتـــه وزمانـــه وجنسه ونشأته ... والقدامى تعرضوا لتلك المؤثرات وقالوا إنها غاية فى اللطف والدقة وأن الناقد لابد أن يأخذ نفسه بالدربة لكي يستطيع التمييـــز بـــين دقـــائق الأعمال ولطائفها .

وقد وضع النقاد القدامى والمحدثون بعض الشروط للناقد واعتبروا أنهـــا أداته وعدته لا يكون ناقداً كفؤاً ولا يكون نقداً ذا قيمة إلا إذا أحـــاط بهـــا علمـــاً وتمكن منها .

فاللغة من أهم المقومات وأدوات الناقد لـذا يجـب علـى الباحـث أن يلم بقديمها ومحدثها ودلالتها فاللغة تدركها الحداثة والتغيير مثلها مثـل البشـر وحياتهم .

وفى استخدام الناقد للغة تتضح معارفه ، وفى انتخاب ألفاظه وتعبيراتـه تظهر ثقافته وذوقه .

المصادر والمراجع

أسس النقد الأدبي عند العرب د / أحمد بدوى دار النهضة – ١٩٥٨
أصـــول النقـــد الأدبـــي – أحمـــد الشـــايب ط ١٠ – ١٩٩٩ مكتبـــة النهضة المصرية
أصول النقد الأدبي د / طه مصطفى أبو كريشه ط ١٩٩٦
جمهرة أشعار العرب أبو زيد القرشى
خطوات فى النقد الأدبي يحي حقى الهيئة المصرية العامة ١٩٩٦ دراسة الأدب العربي د / محمد أحمد ناصف الدار القومية للطباعة والنشر دفاع عن البلاغـــه أحمد حسن الزيات ١٩٦٧ ط ٢
دلائل الإعجاز عبد القاهر الجرجاني مقدمه ابن خلدون
سر الفصاحة ابن سنان الخفاجى تعليق عبد المتعال الصعيدي مطبعـــة صـــبيح ١٩٥٢ .
شرح ديوان الحماسة
طبقات فحول الشعراء – ابن سلام الجمحى ت : محمود محمد شاكر العمدة ابن رشيق
عيار الشعر – ابن طباطبا
فى محيط النقد الأدبي د / إبراهيم على أبو الخشب – الهيئة المصـــرية العامـــة للكتاب ١٩٨٥
فى النص وقراءة النص د/ محمد أحمد العزب
فى النقد الأدبي د / شوقى ضيف دار المعارف ٧٧ طبعة ٥
قضايا معاصرة فى الأدب والنقد د/ محمد غنيمى هلال دار نهضة مصر للطباعة
كتاب الصناعتين – الكتابة والشعر ت : على محمد البجاوى – محمد أبو الفضل إبراهيم – عيسى البابى الحلبي ط ٢ – ١٩٧١
مقالات فى التربية واللغة والبلاغة والنقد عبده قليقلة الأنجلو المصرية جزء ١

الموازنة بين أبى تمام والبحترى للأمدى ت : السيد أحمد صقر – دار المعارف
الموازنة بين الشعراء زكى مبارك
النقد الأدبي أحمد أمين – مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٣ طبعة٣
النقد العربي د / عبد الحكيم راضي د / عبد المنعم تليمه – دار الثقافة للنشر والتوزيع ١٩٨٥
النقد والنقاد المعاصرون د/ محمد مندور دار نهضة مصر
الوجه الغائب د/ مصطفى ناصف الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٦
الوساطة بين أبى تمام وخصومه – الجرجانى .